فتشوا الكتب ٢١٥ تفسير سفر يونان إعداد: صبحي ثاوفيلس باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين مطبعة الخلاص

مقدمة المؤلف

عندما شغلني الرب أن أكتب تفسيراً لسفر يونان (الذي يسميه البعض سفر العناية الإلهية)، استعنت ببعض المصادر وصرفت وقتاً طويلاً في الدراسة والتفكير والصلاة، وكان كل اهتمامي أن أفصّل كلمة الحق بالاستقامة، وأن أقدم المعنى الصحيح لكل عبارة في سفر يونان، ولذلك، استبعدت كل ما قرأته من التفسيرات والاستنتاجات والتعليقات البشرية التي لا يحتملها النص، والتي لم يقصدها الروح القدس، والتي لا تنسجم أيضاً مع قصة يونان كما وردت في سفره، ومع ما ذكر أيضاً بخصوص يونان وأهل نينوى في الأناجيل في العهد الجديد. وقد حاولت أن يكون التفسير وافياً وواضحاً وبسيطاً ومحتوياً على تأملات روحية نافعة، وحاولت أيضاً الإجابة على بعض الأسئلة التي قد تدور في ذهن القارئ عند قراءته لسفر يونان مثل:

١ – لماذا رفض يونان الذهاب إلى نينوى في البداية؟

٢ – لماذا شرع يونان في الهروب وهو يعلم أن الله موجود في كل مكان؟

٣ – لماذا لم يصل يونان لكي ينقذ الرب السفينة كما طلب منه رئيس النوتية؟

٤ – لماذا أخبر يونان البحارة بأن الرب هو إله السماء الذي صنع البحر والبر؟

٥ – لماذا هدأ البحر بعد طرح يونان فيه؟

٦ – لماذا لم يتكلم الله مع يونان في جوف الحوت وتكلم مع الحوت وأمره أن يقذف يونان إلى البر؟
٧ – لماذا صار قول الرب إلى يونان ثانية أن يذهب إلى نينوى بعد خروجه من جوف الحوت؟
٨ – لماذا وهب الرب يونان فرصة ثانية للذهاب إلى نينوى ولم يكلف غيره بهذه المهمة ؟
٩ – لماذا أرسل الله إلى أهل نينوى تهديداً بالهلاك دون دعوة للتوبة أو وعد بالرحمة؟
١٠ – لماذا جاوب يونان الرب عندما سأله"هَلِ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ؟ " في ع ٩ من الإصحاح الرابع ولم يجاوبه عندما سأل نفس السؤال في ع ٣ من نفس الإصحاح؟
١١ – لماذا لم يجاوب يونان على سؤال الرب له في آخر السفر؟

ولقد بذلت كل جهدي، وعملت بكل أمانة وإخلاص، في إعداد هذا التفسير، كي أقدم كل ما هو حق وكل ما هو نافع دون التحيز لأي اتجاه، أو الخضوع لأي فكر، سوى ما أرشدني إليه الروح القدس وضميري من خلال كلمة الله. وسوف تجد في هذا الكتاب شرحاً لبعض أجزاء أخرى من الكتاب المقدس بالإضافة إلى سفر يونان.
وأعتذر عن أي قصور يشوب هذا التفسير.

المؤلف

مقدمة سفر يونان

سفر يونان هو سفر تاريخي، حيث أنه قد ذكر فيه اسم النبي الذي صار إليه قول الرب وهو يونان ابن أمتاي، والمعتقد أنه هو الذي كتب هذا السفر مع أنه يتكلم بصيغة الغائب، لأنه ليس لأحد غيره يستطيع أن يحدثنا عن

الإرسالية إلى نينوى ونتائجها العجيبة، وعن حديثه على السفينة مع البحارة، وعن صلاته إلى الرب في بطن الحوت، وعن حديث الرب الرقيق معه بخصوص اليقطينة. وبما أنه يذكر تاريخه الشخصي وعصيانه المعيب لله، فإننا نستدل من ذلك على أمانته وصدق روايته، كما أنه رهان على أن هذا السفر موحى به من الله. ومما يؤيد صدق أحداث هذا السفر أيضاً شهادة الرب يسوع المسيح عن بقاء يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، وعن رجال نينوى الذين تابعوا يمناداة يونان "٣٩فَأَجابَ وَقَالَ لَهُمْ:«جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. ٤٠لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْب الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال. ٤١رِجَالُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ مَعَ هذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ، لأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ هههُنَا " (مت ١٢: ٣٩ – ٤١).

ولو لم يتأكد اليهود تماماً من صحة وحى هذا السفر وحقيقة حوادثه، ما قبلوه بين أسفار العهد القديم، فقد كان اليهود متعصبين جداً لديانتهم وجنسيتهم وكانوا يحتقرون الأمم، ولم يكن من السهل أبداً أن يقبلوا هذا السفر الذي يتكلم عن رحمة الله للأمم. أما الاعتراض بأن الحوت لا يستطيع أن يبتلع إنساناً فمردود بما ذكر في سفر يونان أن الرب قد أعد حوتاً عظيماً لهذا الغرض. وقد وجد في البحر المتوسط حيتان كبيرة يتسع بلعومها لابتلاع ستة رجال دفعة واحدة. وقد اصطاد الصيادون عام ١٨٩١ م. أحد هذه الحيتان ووجد بداخله أحد البحارة الذي كان قد سقط في البحر قبل صيد الحوت بعدة ساعات. ويونان هو الذي تنبأ في أيام

يربعام الثاني ابن يوآش الذي ملك على إسرائيل نحو عام ٨٢٣ ق. م لمدة إحدى وأربعين سنة لغاية عام ٧٨٢ ق. م. وقد كان موضوع نبوته إنقاذ بني إسرائيل من ظلم الآراميين (السوريين)، ورجوع حدود مملكة إسرائيل كما كانت من مدخل حماة شمالاً إلى بحر العربة (البحر الميت) جنوباً، إذ يذكر سفر الملوك الثاني (١٤: ٢٥) أن يربعام "٢٥هُوَ رَدَّ تُخُمَ إِسْرَائِيلَ مِنْ مَدْخَلِ حَمَاةَ إِلَى بَحْرِ الْعَرَبَةِ، حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَنْ يَدِ عَبْدِهِ يُونَانَ بْنِ أَمِتَّايَ النَّبِيِّ الَّذِي مِنْ جَتَّ حَافِر " . قرية تابعة لسبط زبولون شمالي إسرائيل أي في الجليل "١٣وَمِنْ هُنَاكَ عَبَرَ شَرْقًا نَحْوَ الشُّرُوقِ إِلَى جَتَّ حَافَرَ إِلَى عِتِّ قَاصِينَ، وَخَرَجَ إِلَى رِمُّونَ وَامْتَدَّ إِلَى نَيْعَةَ" (يش ١٩: ١٣). ويوجد تقليد عند اليهود يقول أن يونان هو ابن الأرملة الذي أقامه إيليا النبي من الموت في صرفة صيدا "٢٢فَسَمِعَ الرَّبُّ لِصَوْتِ إِيلِيَّا، فَرَجَعَتْ نَفْسُ الْوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ فَعَاشَ " (١مل ١٩: ١٣). ولكن لا يوجد سند لذلك في الكتاب المقدس. وقد كان يونان معاصراً للنبي عاموس وتنبأ بعد أيام اليشع النبي. وكان يونان أول مرسل قديم أرسله الله إلى الأمم. ويعتقد البعض أن يونان ذهب إلى نينوى وهي عاصمة مملكة أشور نحو عام ٨٦٢ ق.م. ويعتقد البعض الآخر أن ذهابه حدث في بداية حكم يربعام الثاني ملك إسرائيل ذكره أي نحو عام ٨٢٣ ق. م.

ونينوى من أعظم المدن التي عرفها التاريخ القديم، وكان محيط دائرتها عندما ذهب إليها يونان ستين ميلاً، وهذه المساحة تشمل المباني كما تشمل الأراضي الزراعية التي تكفي لإطعام السكان، وقد بنيت على الضفة الشرقية لنهر دجلة قرب مدينة الموصل الحالية وعلى بعد ستمائة ميل

من الخليج الفارسي، وعدد سكانها كان يزيد عن ستمائة ألف نسمة، ويظن البعض أن عدد سكانها كان يزيد على مليوني نسمة. وكان سورها عظيماً يرتفع أكثر من ثلاثين متراً، وعرضه يمكن أن يسع ثلاث عربات تسير عليه متجاورة. وحولها ألف وخمسمائة برج حراسة يرتفع كل منها أكثر من سبعين متراً. أما داخلها فكان يزخر بالترع والقنوات والميادين والحدائق والقصور والتماثيل والسلع والمجوهرات والكنوز. في سفر يونان نرى صورة الخادم غير المطيع لأمر سيده والآلام التي قاساها بسبب عصيانه، ونرى كيف أعاده الرب إلى خدمته وكيف احتمل تذمره. كما نرى العناية الإلهية التي تتدخل في كل خطوة من حياة المؤمن، فيذكر في سفر يونان أن الرب أرسل ريحاً شديدة إلى البحر، ثم أنه أعد حوتاً عظيماً ليبتلع يونان، ثم أنه أمر الحوت فقذفت يونان إلى البر، ثم أعد الرب يقطينة لتكون ظلاً على رأس يونان لكي يخلصه من غمه، ثم أعد الله دودة فضربت البقطينة فيبست، ثم أعد ريحاً شرقية حارة. كما نرى شفقة الله وصبره على الخطاة وصفحه عنهم إذا تابوا توبة صادقة. كما نتعلم أن مشيئة الله لابد أن تتم بأية حال من الأحوال. وسفر يونان يعلن لنا أن الله ليس إله اليهود فقط بل إله الأمم أيضاً، وأن نعمته ومحبته هي للأمم كما أنها لليهود "٢٩أَمِ اللهُ لِلْيَهُودِ فَقَطْ؟ أَلَيْسَ لِلأُمَمِ أَيْضًا؟ بَلَى، لِلأُمَمِ أَيْضًا " (رو ٣: ٢٩). وأما وضع السفر مع الأسفار النبوية فلأن فيه ما يرمز إلى أمور مستقبلة، فوجود يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ثم خروجه حياً يرمز لقيامة المسيح بعد ثلاثة أيام، كما أن فيه النبوة التي قالها لأهل نينوى "بعد أربعين يوماً تنقلب المدينة ". وكلمة يونان معناها "حمامة" وكلمة أمتاي معناها

"الحق" ومن المعروف أن الوالدين يطلقون على أبائهم أسماء متمنين لهم صفات هذه الأسماء.

الإصحاح الأول

في هذا الإصحاح نجد:

١ – صدور أمر الرب إلى يونان بالذهاب إلى نينوى ع ١، ٢.

٢ – عصيان يونان وشروعه في الهروب ع ٣.

٣ – حدوث عاصفة بسبب عصيانه وهروبه ع ٤ – ١٠.

٤ – القاءه في البحر لتهدئة العاصفة ع ١١ – ١٦.

٥ – نجاته المعجزية بواسطة الحوت ع ١٧.

أولاً : صدور أمر الرب إلى يونان بالذهاب إلى نينوى:

١وَصَارَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى يُونَانَ بْنِ أَمِتَّايَ قَائِلاً: ٢قُمِ اذْهَبْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ وَنَادِ عَلَيْهَا، لأَنَّهُ قَدْ صَعِدَ شَرُّهُمْ أَمَامِي " (يو ١: ١، ٢).

صار قول الرب إلى يونان بأن يذهب إلى نينوى المدينة العظيمة وهي مدينة وثنية ولا نعرف كيف صار إليه قول الرب. ربما سمع صوتاً، أو تكلم الرب إليه عن طريق رؤيا أو ملاك. لم يأمر الرب يونان بأن يتنبأ بالدمار على نينوى، بل أن يذهب إليها وينادي عليها أي يبلغها بقضاء الله، وذلك لأن شر أهلها قد صعد أمام الله كما صعد صراخ شر سدوم وعمورة قديماً إلى الله "٢٠وَقَالَ الرَّبُّ: «إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ، وَخَطِيَّتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدًّا. ٢١أَنْزِلُ وَأَرَى هَلْ فَعَلُوا بِالتَّمَامِ حَسَبَ صُرَاخِهَا الآتِي إِلَيَّ، وَإِلاَّ فَأَعْلَمُ» (تك ١٨: ٢٠، ٢١) وهذا يعني أن الله رأى أن شرهم قد كثر وازداد، وأن مكيال إثمهم قد امتلأ، فحمى غضبه عليهم، لأن عيني الرب أطهر من أن تنظرا الشر ولا تستطيع النظر إلى الجور "١٣عَيْنَاكَ أَطْهَرُ مِنْ أَنْ تَنْظُرَا الشَّرَّ، وَلاَ تَسْتَطِيعُ النَّظَرَ إِلَى الْجَوْرِ " (حب

١: ١٣). ونلاحظ أن الذي يفعل الشر إنما يفعله أمام عيني الله، ولذلك قال داود النبي بعد أن أخطأ "٤إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ، وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ " (مز ٥١: ٤) والشر يعتبر إهانة عظيمة لله لأنه بمقدار عظمة الله تكون الإهانة له عظيمة، ولو أن الإنسان قدر أن خطيته إنما هي إساءة موجهة إلى الله وأن الله يراه وهو يفعل الخطية لأمتنع عنها، كما رفض يوسف الخطية وقال " فَكَيْفَ أَصْنَعُ هذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى اللهِ؟ " (تك ٣٩: ٩). ولأن العقاب كان شديداً، وأهل نينوى غافلون عنه، أراد الله أن ينذرهم قبل أن يوقعه عليهم، وكان على يونان أن يشهد على شرهم العظيم ويبلغهم بالعقاب القادم عليهم بسبب هذا الشر. هذا يدل على اهتمام الله بأهل نينوى رغم شرهم ورغم أنهم أمم وثنيون وليسوا من شعبه إسرائيل. إن الله لم يغلق بابه في وجه الأمم في العهد القديم، فراحاب الأممية الزانية عندما آمنت بالرب إله إسرائيل قبلت بين شعبه ونجت من الموت، ويذكر الكتاب المقدس عنها "٣١بِالإِيمَانِ رَاحَابُ الزَّانِيَةُ لَمْ تَهْلِكْ مَعَ الْعُصَاةِ، إِذْ قَبِلَتِ الْجَاسُوسَيْنِ بِسَلاَمٍ" (عب ١١: ٣١) وقد تزوجها سلمون وأنجب منها بوعز الذي اقترن براعوث الموآبية وأنجب منها عوبيد أبا يسى أبي الملك داود. وراعوث الموآبية أيضاً كانت أممية ولكنها آمنت بالرب ورفضت أن ترجع إلى شعبها وآلهتها التصقت بنعمى وقالت لها " لاَ تُلِحِّي عَلَيَّ أَنْ أَتْرُكَكِ وَأَرْجِعَ عَنْكِ، لأَنَّهُ حَيْثُمَا ذَهَبْتِ أَذْهَبُ وَحَيْثُمَا بِتِّ أَبِيتُ. شَعْبُكِ شَعْبِي وَإِلهُكِ إِلهِي " (راعوث ١: ١٦) وقد ذكرت راحاب وراعوث ضمن سلسلة نسب المسيح الذي جاء من نسل داود من سبط يهوذا

"٥وَسَلْمُونُ وَلَدَ بُوعَزَ مِنْ رَاحَابَ. وَبُوعَزُ وَلَدَ عُوبِيدَ مِنْ رَاعُوثَ. وَعُوبِيدُ وَلَدَ يَسَّى " (مت ١: ٥).

وملكة سبأ أيضاً التي أتت لتسمع حكة سليمان كانت أممية وآمنت بالرب وقالت لسليمان "٩لِيَكُنْ مُبَارَكًا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي سُرَّ بِكَ وَجَعَلَكَ عَلَى كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ. لأَنَّ الرَّبَّ أَحَبَّ إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ جَعَلَكَ مَلِكًا، لِتُجْرِيَ حُكْمًا وَبِرًّا " (١مل ١٠: ٩) وقال عنها الرب يسوع ملكة التيمن (أي ملكة الجنوب ويظن أنها بلاد اليمن وهي في الجزء الجنوبي من بلد العرب) "٣١مَلِكَةُ التَّيْمَنِ سَتَقُومُ فِي الدِّينِ مَعَ رِجَالِ هذَا الْجِيلِ وَتَدِينُهُمْ، لأَنَّهَا أَتَتْ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ لِتَسْمَعَ حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ سُلَيْمَانَ هههُنَا! " (لو ١١: ٣١) وقد نقلت معرفة الله إلى بلاد الحبشة التى أتى منها الوزير الحبشي ليسجد للرب في أورشليم "٢٧فَقَامَ وَذَهَبَ. وَإِذَا رَجُلٌ حَبَشِيٌّ خَصِيٌّ، وَزِيرٌ لِكَنْدَاكَةَ مَلِكَةِ الْحَبَشَةِ، كَانَ عَلَى جَمِيعِ خَزَائِنِهَا. فَهذَا كَانَ قَدْ جَاءَ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيَسْجُدَ " (أع ٨: ٢٧). ونعمان السرياني (الأممي) قال عنه الرب يسوع "٢٧وَبُرْصٌ كَثِيرُونَ كَانُوا فِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَانِ أَلِيشَعَ النَّبِيِّ، وَلَمْ يُطَهَّرْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلاَّ نُعْمَانُ السُّرْيَانِيُّ " (لو ٤: ٢٧) ونعمان هذا قال لأليشع بعد أن طهر " أَمَا يُعْطَى لِعَبْدِكَ حِمْلُ بَغْلَيْنِ مِنَ التُّرَابِ، لأَنَّهُ لاَ يُقَرِّبُ بَعْدُ عَبْدُكَ مُحْرَقَةً وَلاَ ذَبِيحَةً لآلِهَةٍ أُخْرَى بَلْ لِلرَّبِّ " (٢مل ٥: ١٧).

ثانياً : عصيان يونان وشروعه في الهروب:

"٣فَقَامَ يُونَانُ لِيَهْرُبَ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ، فَنَزَلَ إِلَى يَافَا وَوَجَدَ سَفِينَةً ذَاهِبَةً إِلَى تَرْشِيشَ، فَدَفَعَ أُجْرَتَهَا وَنَزَلَ فِيهَا، لِيَذْهَبَ مَعَهُمْ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ" (يونان ١: ٣)

كان من المفروض أن عبد الرب ونبيه يونان يطيع الرب بمجرد أن صار إليه قوله بأن يقوم ويذهب إلى نينوى، لكنه لم يكن راغباً في نجاة أهل نينوى، فرفض إطاعة أمر الرب بالذهاب إليها لتوصيل الإنذار إليهم "٣فَقَامَ يُونَانُ لِيَهْرُبَ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ " ع ٣. وقد اعترف يونان في (ص٤: ٢) "آهِ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ هذَا كَلاَمِي إِذْ كُنْتُ بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ لِذلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ "أن سبب هروبه ورفضه هذه المهمة أن الرب كثير الرحمة، ويقصد بذلك أن أهل نينوى إذا تابوا ورجعوا عن طريقهم الرديئة فإن الله سوف يندم عن الشر (أي الضرر أو الهلاك) الذي تكلم أن يصنعه بهم أي يغير طريقة معاملته لهم فيرحمهم عوض أن يهلكهم. ويونان لم يكن مستعداً أن يعلن رحمة الله للأمم وكان يتمنى أن تهلك نينوى في شرها. ولاشك أن يونان كان يعرف أنه لا يقدر أن يهرب من الرب "٧أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ ... " (مز ١٣٩: ٧ – ١٢) فلماذا شرع يونان في الهروب وهو يعلم أن الله موجود في كل مكان وأن له سلطاناً على كل الخليقة؟

والجواب على ذلك أن يونان شرع في الهروب لأنه لم يكن يتوقع أن الله يتدخل بالطريقة العنيفة التي حدثت لكي يجبره على العودة والذهاب إلى نينوى. ولعل يونان ظن أن رفضه لهذه المهمة وهروبه منها قد يجعل الله يعدل عن فكرة توصيل الإنذار إلى أهل نينوى أو يرسل نبياً آخر غيره فلا يغتاظ من توبتهم على يديه هو. وربما لم يقصد يونان الهروب من الرب بل قصد أن يتخلص من سماع صوت الرب (الذي يأمره بالذهاب إلى نينوى) وذلك بخروجه من حدود أرض

إسرائيل إذ كان البعض يظن أن روح النبوة محصور في أرض إسرائيل. وعوضاً عن أن يسافر يونان شرقاً إلى نينوى اتجه غرباً "فنزل إلى يافا" (وهي ميناء مشهور في أرض إسرائيل على البحر المتوسط) ليسافر إلى ترشيش (وهي ميناء في أقصى غرب البحر المتوسط في بلاد أسبانيا أو شمال أفريقيا)، والسفن الذاهبة إلى هناك لا توجد كل يوم بل بين الواحدة والأخرى مدة طويلة، وعادة ما تكون مشحونة بالبضائع، ومن النادر أن يوجد فيها مكان شاغر، والأجرة كانت كبيرة لأن المسافة بين يافا وترشيش حوالي ثلاثة آلاف كيلو متر. لكن يونان وجد سفينة ذاهبة إلى ترشيش فدفع أجرتها ونزل فيها ليذهب معهم (أي مع البحارة المسافرين) إلى ترشيش من وجه الرب. لقد كان طريق الهروب سهلاً في البداية، وهكذا فإن الشيطان يسهل للعصاة طريق الابتعاد عن الله، ويمكننا أن نستنتج من ذلك أن الطريق السهل والظروف المهيأة التي بدون عقبات ليست دائماً دليلاً على أننا نسير في الطريق الصحيح، وليست دليلاً على أننا في دائرة مشيئة الله، فقد كان أمر الله ليونان واضحاً وهو أن يذهب إلى نينوى لا إلى ترشيش.

ثالثاً: حدوث عاصفة بسبب عصيان يونان وهروبه:

"٤فَأَرْسَلَ الرَّبُّ رِيحًا شَدِيدَةً إِلَى الْبَحْرِ، فَحَدَثَ نَوْءٌ عَظِيمٌ فِي الْبَحْرِ حَتَّى كَادَتِ السَّفِينَةُ تَنْكَسِرُ. ٥فَخَافَ الْمَلاَّحُونَ وَصَرَخُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى إِلهِهِ، وَطَرَحُوا الأَمْتِعَةَ الَّتِي فِي السَّفِينَةِ إِلَى الْبَحْرِ لِيُخَفِّفُوا عَنْهُمْ. وَأَمَّا يُونَانُ فَكَانَ قَدْ نَزَلَ إِلَى جَوْفِ السَّفِينَةِ وَاضْطَجَعَ وَنَامَ نَوْمًا ثَقِيلاً. ٦فَجَاءَ إِلَيْهِ رَئِيسُ النُّوتِيَّةِ وَقَالَ لَهُ: «مَا لَكَ نَائِمًا؟ قُمِ اصْرُخْ إِلَى إِلهِكَ عَسَى أَنْ يَفْتَكِرَ الإِلهُ فِينَا

فَلاَ نَهْلِكَ». ٧وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَلُمَّ نُلْقِي قُرَعًا لِنَعْرِفَ بِسَبَبِ مَنْ هذِهِ الْبَلِيَّةُ». فَأَلْقَوا قُرَعًا، فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى يُونَانَ.٨فَقَالُوا لَهُ: «أَخْبِرْنَا بِسَبَبِ مَنْ هذِهِ الْمُصِيبَةُ عَلَيْنَا؟ مَا هُوَ عَمَلُكَ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ؟ مَا هِيَ أَرْضُكَ؟ وَمِنْ أَيِّ شَعْبٍ أَنْتَ؟» ٩فَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا عِبْرَانِيٌّ، وَأَنَا خَائِفٌ مِنَ الرَّبِّ إِلهِ السَّمَاءِ الَّذِي صَنَعَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ». ١٠فَخَافَ الرِّجَالُ خَوْفًا عَظِيمًا، وَقَالُوا لَهُ: «لِمَاذَا فَعَلْتَ هذَا؟» فَإِنَّ الرِّجَالَ عَرَفُوا أَنَّهُ هَارِبٌ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ، لأَنَّهُ أَخْبَرَهُمْ. " (يونان ١: ٤ – ١٠)

"وَأَمَّا يُونَانُ فَكَانَ قَدْ نَزَلَ إِلَى جَوْفِ السَّفِينَةِ وَاضْطَجَعَ وَنَامَ نَوْمًا ثَقِيلاً " ع ٥. ربما لأنه كان قد تعب من السفر إلى يافا، أو لأنه كان مثقلاً بالحزن الذي عادة ينتج عنه نوم ثقيل كما حدث مع تلاميذ المسيح في بستان "٤٥ثُمَّ قَامَ مِنَ الصَّلاَةِ وَجَاءَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ، فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا مِنَ الْحُزْنِ " (لو ٢٢: ٤٥) أو لأنه اطمأن أنه وجد طريق الهروب من وجه الرب، كما أنه لم يكن عليه أية مسئولية في قيادة السفينة. نام يونان نوماً ثقيلاً، لكن الله كان ساهراً على عمله، ومصمماً على إعادة يونان إلى خدمته، وعلى توصيل الإنذار إلى أهل نينوى بعد أن يؤدب يونان على عصيانه "٤فَأَرْسَلَ الرَّبُّ رِيحًا شَدِيدَةً إِلَى الْبَحْرِ، فَحَدَثَ نَوْءٌ عَظِيمٌ فِي الْبَحْرِ حَتَّى كَادَتِ السَّفِينَةُ تَنْكَسِرُ " (ع ٤) الآن بدأ يونان يواجه المتاعب بسبب هروبه من الرب. حدث نوء عظيم (أي عاصفة شديدة) في البحر وهنا نرى سلطان الله على الطبيعة وهو يستخدمها ليطارد يونان الهارب، كما نرى البحارة المساكين الذين أتت عليهم العاصفة بسبب وجود يونان النبي المتمرد في سفينتهم. أحس الملاحون بخطر الموت فخارت شجاعتهم ارتعدوا أمام

هذه الريح الشديدة التي هبت فجأة، وثارت بعنف، وسببت هذا النوء العظيم، وتوقعوا أن السفينة لابد أن تتحطم سريعاً "٥فَخَافَ الْمَلاَّحُونَ وَصَرَخُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى إِلهِهِ " (ع ٥). كان صراخ البحارة إلي ألهتهم هو أول شيء عملوه لأن العاصفة كانت شديدة والموت كان محققاً.وكان لكل واحد منهم إلهه لأنهم كانوا من بلاد مختلفة، فصلى كل واحد منهم إلى إله بلده. صلوا إلى الأصنام. كل واحد أحس بالخطر وانزعج وصلى لأجل نجاة نفسه، وهذه عادة البشر أنهم يصلون ويتعبدون في وقت الشدة والضيق.

لكنهم فعلوا شيئاً آخر .. بذلوا كل ما في وسعهم لمساعدة أنفسهم " وَطَرَحُوا الأَمْتِعَةَ أي البضائع) الَّتِي فِي السَّفِينَةِ إِلَى الْبَحْرِ لِيُخَفِّفُوا عَنْهُمْ " (ع ٥) أي ليحفظوا حمولة السفينة وذلك لأن الحياة أهم من الثروة، والتضحية بالثروة قد يكون أمرً ضرورياً إذا كانت هذه الثروة ستتسبب في ضياع الحياة. وإذا كان البحارة قد أغرقوا ما كان مزمعاً أن يغرقهم، وفضلوا أن يخسروا الأمتعة لينجوا بأنفسهم، أفلا يليق بنا نحن أن نعرف قيمة الحياة الروحية، حياة النفس، واثقين بأن خسارة كل العالم لا تساوي شيئاً بجانب خسارة النفس ؟! لقد صرخ الملاحون خوفاً من الغرق في البحر فماذا يفعل الشرير وأمامه بحيرة متقدة بالنار والكبريت سوف يغرق فيها وفي عذابها إلى أبد الآبدين؟ وكما خارت شجاعة البحارة كذلك عجزت خبرتهم وحكمتهم ومجهوداتهم من أن تنقذهم، لأنه رغم طرح الأمتعة كانت السفينة لاتزال في خطر، لذلك أيقظ رئيس النوتية يونان ووبخه على نومه وقت الخطر وعلى عدم مبالاته بخلاص نفسه وبخلاص غيره، وطلب منه أن يقوم ويصرخ إلى إلهه لأنهم كانوا جميعاً في

خطر الهلاك " ٦فَجَاءَ إِلَيْهِ رَئِيسُ النُّوتِيَّةِ وَقَالَ لَهُ: «مَا لَكَ نَائِمًا؟ قُمِ اصْرُخْ إِلَى إِلهِكَ " (ع ٦) لو كان يونان في وضعه الصحيح ما عرض نفسه لتوبيخ رئيس النوتية الوثني. إن الناس بخطيتهم وحماقتهم يصغرون ويحقرون أنفسهم. لقد صرخ رئيس النوتية وزملاءه إلى إلهتهم فلم تنفعهم، فظن أن إله يونان ربما هو الذي ينفع. ويبدو أن الإلهة الكثيرة التي صرخوا إليها كانت تعتبر كوسطاء بينهم وبين الإله الأعظم، لأن رئيس النوتية يتحدث هنا عن الإله الواحد الذي يستطيع أن ينجيهم من الهلاك إذ قال ليونان " عَسَى أَنْ يَفْتَكِرَ الإِلهُ فِينَا فَلاَ نَهْلِكَ " (ع ٦). كان رئيس النوتية يؤمن بقدرة الإله الأعظم أن ينقذهم، ولكنه شعر بالحاجة إلى من يجعل هذا الإله يفتكر فيهم أي يهتم بهم وينقذهم. لكن يونان لم يفكر في أن يصرخ إلى إلهه كما طلب إليه رئيس النوتية لأنه كان يعلم أن هذه العاصفة حدثت بسببه لأنه كان هارباً من الرب. ويونان لم يكن عنده أي استعداد للعودة والذهاب إلى نينوى فكيف يطلب من الرب إسكات العاصفة وهو لم يخضع إرادته للرب؟ كما أن الصلاة في الضيق مع تجاهل خطايانا صلاة غير مسموعة.

لاحظ النوتية أن هناك شيئاً غير عادي في هذه العاصفة واستنتجوا أن الله أرسل هذه العاصفة لغضبه على شخص من ركاب السفينة ارتكب جريمة شنعاء، فقرروا أن يلقوا قرعة ملتجئين لحكم الله كاشف القلوب ليعرفوا من هو المجرم الذي تسبب في هذه العاصفة التي كانت مصيبة عليهم جميعاً "٧وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَلُمَّ نُلْقِي قُرَعًا لِنَعْرِفَ بِسَبَبِ مَنْ هذِهِ الْبَلِيَّةُ». فَأَلْقَوا قُرَعًا، فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى يُونَانَ " (ع ٧). كانت القرعة تلقى في العهد القديم

وكان " ◌َمِنَ الرَّبِّ كُلُّ حُكْمِهَا " (أم ١٦: ٣٣) ، وقسم يشوع الأرض لبني إسرائيل بالقرعة أمام الرب "١٠فَأَلْقَى لَهُمْ يَشُوعُ قُرْعَةً فِي شِيلُوهَ أَمَامَ الرَّبِّ، وَهُنَاكَ قَسَمَ يَشُوعُ الأَرْضَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ حَسَبَ فِرَقِهِمْ" (يش ١٨: ١٠) وألقيت القرعة يوم اختيار متياس رسولاً بدل يهوذا الذي خنق نفسه "٢٦ثُمَّ أَلْقَوْا قُرْعَتَهُمْ، فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى مَتِّيَاسَ، فَحُسِبَ مَعَ الأَحَدَ عَشَرَ رَسُولاً " (أع ١: ٢٦). لكن بعد حلول الروح القدس على التلاميذ في يوم الخمسين اعتمد المؤمنون على كلمة الله وإرشاد الروح القدس الذي يرشدهم إلى جميع الحق.

ألقى البحارة قرعاً فوقعت القرعة على يونان. الرب الذي أرسل الريح هو الذي تحكم في القرعة وجعلها تقع على يونان. كان يمكن ليونان أن يوفر التعب على البحارة لو كان قد أخبرهم أنه هو سبب هذه البلية لكنه تصرف بنفس الطريقة التي يتصرف بها المجرمون إذ لم يعترف إلا عندما وجد أنه من المستحيل إخفاء الأمر إذ وقعت القرعة عليه. إن الله لا يعجز بطريقة أو بأخرى أن يكشف الخطية مهما تسترنا عليها وأخفيناها عن أعين كل البشر، ومهما هربنا إلى أقصى الأرض أو البحر. وكم هو مخجل أن تظهر خطية المؤمن أمام الخطاة. ورغم أن القرعة كشفت أمام النوتية أن يونان هو سبب العاصفة لكنهم عاملوه بلطف ولم يوجهوا إليه أية تهمة وبدأوا يستجوبونه، فطلبوا منه أن يخبرهم عما إذا كان هو الشخص الذي بسببه أُرسلت العاصفة كما كشفت القرعة "٨فَقَالُوا لَهُ: «أَخْبِرْنَا بِسَبَبِ مَنْ هذِهِ الْمُصِيبَةُ عَلَيْنَا؟ " (ع ٨) سألوه هذا السؤال ولم ينتظروا حتى يجاوبهم لأنهم كانوا مضطربين وقدموا له أسئلة أخرى. سألوه عن عمله،

ربما كان نوع عمله يغضب الرب عليهم، وربما قصدوا أن يسألوه عن نوع عمله في السفينة أي سبب سفره معهم، ربما كان سفره ضد رغبة الرب. ثم سألوه عن بلاده وشعبه لعل في معرفتهم عن بلاده وشعبه ما يكشف سبب العاصفة " مَا هُوَ عَمَلُكَ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ؟ مَا هِيَ أَرْضُكَ؟ وَمِنْ أَيِّ شَعْبٍ أَنْتَ؟ " (ع ٨). كانت أسئلة البحارة ليونان تستفهم عما إذا كان هو المذنب الذي حدثت العاصفة بسببه وما هو الذنب الذي ارتكبه.

وإجابة على هذه الأسئلة "٩فَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا عِبْرَانِيٌّ، وَأَنَا خَائِفٌ مِنَ الرَّبِّ إِلهِ السَّمَاءِ الَّذِي صَنَعَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ " (ع ٩). عبراني أي من أمة إسرائيل، وخائف من الرب في الأصل "خائف الرب" أي يعبد الرب. كما أخبرهم يونان أنه هارب من وجه الرب "فَإِنَّ الرِّجَالَ عَرَفُوا أَنَّهُ هَارِبٌ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ، لأَنَّهُ أَخْبَرَهُمْ " (ع ١٠). قصد يونان أن يقول لهم أنه أخطأ إلى الرب الذي له سلطان على البحر والبر وأن الرب أرسل هذه العاصفة بسببه ولكي يطارده. قدم يونان هذا الاعتراف مرغماً بعد أن افتضح أمره، ولابد أنه شعر بالخوف من الله كما شعر بالخجل أمام البحارة. لم يكن قصد يونان من هذا الاعتراف أن يدين نفسه على حماقته في الهروب من وجه الرب، لأنه إلى ذلك الوقت لم يكن نادماً على هروبه ولا راغباً أن يذهب إلى نينوى، ويظهر هذا في طلبه إلى البحارة أن يطرحوه في البحر لا أن يرجعوه إلى البر. كما لم يكن قصد يونان أن يشهد لهم عن إلهه إذ لم يكن في الحالة التي تؤهله لذلك، لأنه كيف يشهد عن إلهه وهو يعصاه ويهرب منه ويغضبه، كما أنه لم يكن راغباً في رحمة الله لأهل نينوى لأنهم أمم وثنيون، وهؤلاء البحارة كانوا أمماً وثنيين مثل أهل نينوى فلا يمكن أن

يكون قد قصد تبشيرهم بإلهه. إن ما قاله يونان عن إلهه وعن هروبه كان القصد من أسئلة البحارة التي وجهوها له. "١٠فَخَافَ الرِّجَالُ (البحارة)خَوْفًا عَظِيمًا " (ع ١٠). من الرب إله السماء لأنهم رأوا قوته في إثارة العاصفة، ورأوا غضبه على يونان بسبب هروبه، فوجهوا اللوم ليونان "، وَقَالُوا لَهُ: «لِمَاذَا فَعَلْتَ هذَا؟" (ع ١٠) أي لماذا هربت؟ لماذا فعلت هذا وأنت وأنت تعلم أن هروبك يغضب هذا الإله العظيم؟ لماذا فعلت هذا وأنت تعلم أنه إله السماء والأرض والبحر وأنك لا تستطيع الهروب منه ومن غضبه؟ لماذا فعلت هذا وأنت نبي للرب؟ لماذا فعلت هذا وجلبت علينا كل هذا الغضب وهذه الخسارة؟ إنه شيء مؤسف جداً أن الأشرار الذين لا يعرفون الله يوبخون النبي على خطئه في حق إلهه ويستغربون هذا التصرف منه إذ كيف يكون نبياً للرب ويهرب منه ويترك خدمته؟! ومن المؤسف أيضاً أن يونان كان سبب مصيبة على البحارة عوضاً عن أن يكون سبب بركة لهم، فقد خسروا أمتعتهم وكانوا على وشك الهلاك بسبب وجوده على سفينتهم. إن هروب يونان كاد يودي لا بحياته هو فقط بل بحياة الملاحين الذين كانوا معه في السفينة أيضاً. المفروض أن المؤمن يكون سبب بركة. مكتوب عن يوسف عندما كان في بيت فوطيفار " أَنَّ الرَّبَّ بَارَكَ بَيْتَ الْمِصْرِيِّ بِسَبَبِ يُوسُفَ " (تك ٣٩: ٥) وعندما كان بولس مسافراً على سفينة إلى رومية وهاجت الريح فرموا أثاث السفينة كان هو سبب بركة للذين معه، فوقف وسطهم وقال "أُنْذِرُكُمْ أَنْ تُسَرُّوا، لأَنَّهُ لاَ تَكُونُ خَسَارَةُ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ، إِلاَّ السَّفِينَةَ. ٢٣لأَنَّهُ وَقَفَ بِي هذِهِ اللَّيْلَةَ مَلاَكُ الإِلهِ الَّذِي أَنَا لَهُ وَالَّذِي أَعْبُدُهُ، ٢٤قَائِلاً:

لاَ تَخَفْ يَا بُولُسُ. يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَقِفَ أَمَامَ قَيْصَرَ. وَهُوَذَا قَدْ وَهَبَكَ اللهُ جَمِيعَ الْمُسَافِرِينَ مَعَكَ " (أع ٢٧: ٢٢ – ٢٤).

رابعاً : القاء يونان في البحر لتهدئة العاصفة.:

"١١فَقَالُوا لَهُ: «مَاذَا نَصْنَعُ بِكَ لِيَسْكُنَ الْبَحْرُ عَنَّا؟» لأَنَّ الْبَحْرَ كَانَ يَزْدَادُ اضْطِرَابًا. ١٢فَقَالَ لَهُمْ: «خُذُونِي وَاطْرَحُونِي فِي الْبَحْرِ فَيَسْكُنَ الْبَحْرُ عَنْكُمْ، لأَنَّنِي عَالِمٌ أَنَّهُ بِسَبَبِي هذَا النَّوْءُ الْعَظِيمُ عَلَيْكُمْ». وَلكِنَّ الرِّجَالَ جَذَفُوا لِيُرَجِّعُوا السَّفِينَةَ إِلَى الْبَرِّ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا، لأَنَّ الْبَحْرَ كَانَ يَزْدَادُ اضْطِرَابًا عَلَيْهِمْ. ١٤فَصَرَخُوا إِلَى الرَّبِّ وَقَالُوا: «آهِ يَا رَبُّ، لاَ نَهْلِكْ مِنْ أَجْلِ نَفْسِ هذَا الرَّجُلِ، وَلاَ تَجْعَلْ عَلَيْنَا دَمًا بَرِيئًا، لأَنَّكَ يَا رَبُّ فَعَلْتَ كَمَا شِئْتَ». ١٥ثُمَّ أَخَذُوا يُونَانَ وَطَرَحُوهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَقَفَ الْبَحْرُ عَنْ هَيَجَانِهِ. ١٦فَخَافَ الرِّجَالُ مِنَ الرَّبِّ خَوْفًا عَظِيمًا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَةً لِلرَّبِّ وَنَذَرُوا نُذُورًا "

بعد اكتشاف النوتية أن يونان هو السبب في هذه العاصفة كان لابد من عمل خطوة أخرى لأن البحر كان يزداد اضطراباً "١١فَقَالُوا لَهُ: «مَاذَا نَصْنَعُ بِكَ لِيَسْكُنَ الْبَحْرُ عَنَّا؟» لأَنَّ الْبَحْرَ كَانَ يَزْدَادُ اضْطِرَابًا" (ع ١١).لعل يونان عندما أخبرهم أنه هارب من وجه أخبرهم أيضاً أنه نبي للرب وأنه كلفه بمهمة الذهاب إلى نينوى وأنه عصا أمر الرب وحاول الهروب، فسألوه بصفته نبياً للرب ويمكنه أن يرشدهم ماذا يفعلون ليسكن البحر عنهم "١٢فَقَالَ لَهُمْ: «خُذُونِي وَاطْرَحُونِي فِي الْبَحْرِ فَيَسْكُنَ الْبَحْرُ عَنْكُمْ، لأَنَّنِي عَالِمٌ أَنَّهُ بِسَبَبِي هذَا النَّوْءُ الْعَظِيمُ عَلَيْكُمْ " (ع ١٢). ليس هناك ما يدل على أن الرب أعلن ليونان أنه إذا طرح في البحر فلن يموت، وأن الرب

سوف يخرجه حياً بعد ثلاثة أيام، وأنه سيكون رمزاً لشيء في المستقبل.

ورغم علم يونان أن الرب غاضب عليه بسبب هروبه، ورغم علمه أن النوء العظيم كان بسببه، لكنه فضل أن يطرح في البحر ويموت غرقاً عن أن يذهب إلى نينوى ليبلغ الرسالة التي كلفه الرب بها، لأنه كان يمكن أن يقترح على البحارة أن يعودوا به إلى البر ليذهب إلى نينوى كما أمره الرب ولكنه كان مصمماً على عدم الذهاب. لقد اعترف بخطيته أمام البحارة لكنه لم يتركها. كان يونان مصمماً على قساوته وعصيانه. العاصفة لم تلن قلبه، والخطر لم يصلح حاله، ورغم انه كان متأكداً أن الرب أرسل العاصفة لكي يطارده هو ذاته، وأن السماء لن توقف غضبها على البحارة وعلى السفينة إلا إذا ألقوه في البحر من سفينتهم. وليس هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن يونان ضحى بنفسه لكي ينقذ البحارة، لأن الواقع هو الذي فرض عليه أن يطلب منهم أن يطرحوه في البحر، لأنه فهم أن هذا هو حكم الرب الذي لن يستطيع أن يهرب منه، ولو لم يطلب يونان من البحارة ذلك لطرحوه هم من تلقاء أنفسهم لينقذوا حياتهم بعد أن تأكدوا أنه هو سبب العاصفة، وبعد أن رأوا البحر يزداد اضطراباً. قرر النوتية التخلص من يونان، ولكنهم إشفاقا عليه، لم يطرحوه في البحر كما طلب منهم "١٣وَلكِنَّ الرِّجَالَ جَذَفُوا لِيُرَجِّعُوا السَّفِينَةَ إِلَى الْبَرِّ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا، لأَنَّ الْبَحْرَ كَانَ يَزْدَادُ اضْطِرَابًا عَلَيْهِمْ " (ع ١٣). لقد أظهروا درجة كبيرة من الإنسانية ورقة الشعور من نحو يونان، فحاولوا أن يرجعوا السفينة ليوصلوه سالماً إلى البر، كما أنهم خافوا من أن يجلبوا على أنفسهم دينونة سفك دمه خصوصاً بعد أن علموا أنه نبي للرب، ولكنهم لم

يستطيعوا الرجوع بالسفينة إلى البر لأن البحر كان يزداد اضطراباً (وهذه العبارة وردت أيضا في ع ١٠) لذلك اقتنعوا أن الرب أرسل العاصفة لكي يلزمهم أن يطرحوه في البحر وإلا أهلكهم معه "٤فَصَرَخُوا إِلَى الرَّبِّ وَقَالُوا: «آهِ يَا رَبُّ، لاَ نَهْلِكْ مِنْ أَجْلِ نَفْسِ هذَا الرَّجُلِ " (ع ١٤). لم يصرخوا إلى آلهتهم بل إلى الرب لأنهم آمنوا به بعد أن أخبرهم يونان عنه، وبعد أن رأوا بأنفسهم سلطانه على الرياح وعلى البحر، فطلبوا منه أن لا يهلكهم من أجل يونان، أي لا يعاقبهم على قتله عندما يطرحونه في البحر، ولا يحسب دمه عليهم إذ لم يطرحوه برغبتهم، بل لأنهم فهموا أن هذه مشيئة الرب " وَلاَ تَجْعَلْ عَلَيْنَا دَمًا بَرِيئًا، لأَنَّكَ يَا رَبُّ فَعَلْتَ كَمَا شِئْتَ " (ع ١٤) فالرب هو الذي شاء أن يطرحوا يونان في البحر وهو الذي ألزمهم بذلك، فالعاصفة التي تعقبته أرسلها الرب، والقرعة التي فضحته كانت بتوجيه من الرب، لم يقصد البحارة أن يونان برئ لأنه نفسه اعترف بذنبه وهروبه من وجه الرب، لكنهم قصدوا أنه لم يعمل خطأ ضدهم. ونلاحظ اهتمام الرب بهؤلاء البحارة المساكين المخلصين إذ استخدم عصيان يونان فرصة لإعلان اسمه لهم لكي يؤمنوا به. بعد أن ظهر البحارة نفورهم من طرح يونان في البحر، وبعد أن عجزوا عن إرجاعه إلى البر، وبعد أن تأكدوا أن هذه هي مشيئة الرب "١٥ثُمَّ أَخَذُوا يُونَانَ وَطَرَحُوهُ فِي الْبَحْرِ " (ع ١٥). البحارة كانوا أبرياء في ذلك، كما أن يونان لم ينتحر بإلقاء نفسه، لكنه سمح للبحارة أن يطرحوه في البحر. وحالما طرح يونان في البحر سكنت العاصفة "، فَوَقَفَ الْبَحْرُ عَنْ هَيَجَانِهِ " (ع ١٥).

ولا يمكن أن نعتبر طرح يونان في البحر وهدوء العاصفة (وبالتالي نجاة البحارة) رمزاً لموت المسيح من أجلنا وهدوء

غضب الله نتيجة لذلك. لأن المسيح مات من أجل خطايا البشر أما يونان فقد طرح في البحر بسبب عصيانه هو وليس بسبب خطأ ارتكبه البحارة. لقد كان النوء العظيم بسببه وهو نفسه اعترف بذلك في ع ١٢. لقد كان مجرماً في حق الرب، هارباً، مطلوباً القبض عليه وإيداعه السجن في بطن الحوت الذي أعده الرب ليبتلعه، لتأديبه وإخضاع إرادته العاصية. والرب لم يرسل الريح الشديدة والنوء العظيم إلا لإجبار البحارة على تسليم المجرم الذي كان مختبئاً عندهم، وكان الرب عاملاً في القرعة لكشفه، وحالما سلم البحارة يونان بطرحه في البحر أوقف الرب غضبه على سفينتهم، فسكنت الريح وهدأ البحر. ولم يكن قصد الله من طرح يونان في البحر أن يواجه البحر أو يواجه الموت نيابة عن البحارة، بل كان قصده أن يبتلعه الحوت الذي كان ينتظره في البحر لتنفيذ أمر الله بتأديبه.

لو أن يونان العاصي الهارب من الرب لم ينزل في سفينة البحارة ما هاجت العاصفة والأمواج عليهم، ولو أن يونان ذهب إلى نينوى منذ البداية كما أمره الرب وتاب أهل نينوى لرحمهم الرب ولم يكن في قصده الرب إطلاقاً أن يهرب يونان من خدمته ويعصي إرادته، ولم يكن في قصده أن يؤدبه بواسطة الحوت، ولكن كل هذا ترتب على عصيانه وهروبه، وإن كل ما ترتب على عصيانه من طرحه في البحر وضيقه الشديد في بطن الحوت كان تأديباً له على عصيانه، ولذلك لا يمكن أن نعتبره سبباً في نجاة الآخرين، سواء كانوا البحارة أو أهل نينوى. كما أننا لا يمكن أن نعتبر التأديب والضيق الذي قاساه يونان في جوف الحوت رمزاً للضيق الشديد الذي سيقع على البقية التقية بعد اختطاف الكنيسة، لأن

الاضطهاد الذي سيقع عليهم سيكون بسبب إيمانهم بالمسيح وليس تأديباً لهم. ولا يمكن أيضاً أن نشبه آلام يونان في بطن الحوت بآلام المسيح لأجلنا على الصليب، لأن يونان تألم بسبب خطيته هو، أما المسيح فقد تألم من اجل خطايانا نحن " أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا " (رو ٤: ٢٥)، " الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا (خطايانا)، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ " (١بط ٣: ١٨)، "٢٤الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ " (١بط٢: ٢٤)، "٥وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا ... ٦كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا " (أش ٥٣: ٥، ٦). لقد كانت آلام يونان آلاماً تأديبية، أما آلام المسيح فكانت آلاماً كفارية، هذا بالإضافة إلى أن الآلام التي قاساها يونان كانت في جوف الحوت، بينما آلام المسيح كانت فوق الصليب وليست أثناء وجوده في القبر، والرب يسوع لم يقل "كما تألم يونان" بل قال "كما كان يونان في بطن الحوت ... "

ولندرس الآن كا ما قاله المسيح بخصوص يونان في الأناجيل. في (مر ٨: ١١) "١١فَخَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَابْتَدَأُوا يُحَاوِرُونَهُ طَالِبِينَ مِنْهُ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ، لِكَيْ يُجَرِّبُوهُ " ، (لو ١١: ١٦، ٢٩، ٣٠، ٣٢)، (مت ١٢: ٣٨ – ٤١) "٣٨حِينَئِذٍ أَجَابَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ قَائِلِينَ:«يَا مُعَلِّمُ، نُرِيدُ أَنْ نَرَى مِنْكَ آيَةً». ٣٩فَأَجابَ وَقَالَ لَهُمْ:«جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. ٤٠لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالَ، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال. ٤١رِجَالُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ مَعَ هذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ، لأَنَّهُمْ

تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ هٰهُنَا! " طلب الكتبة والفريسيون من المسيح أن يريهم آية من السماء ليجربوه. لم يطلبوا آية بإخلاص لكي يقتنعوا بل ليجربوه، فقد كانوا مصرين على عدم الإيمان به بالرغم من معجزاته، لأنهم قالوا أنه يعمل المعجزات بقوة رئيس الشياطين، وطلبوا منه أن يجعل السماء تعمل معجزة لتشهد له، معجزة لا تكون له يد فيها كإنزال نار من السماء، أو إحداث رعد، وما شابه ذلك مما يتعلق بحواس الإنسان الطبيعية، لكن المسيح رفض أن يعطيهم آية من نوع مطلوبهم (ليس أنه لا يأتي المعجزات أمامهم بعد ذلك) وقد رفض المسيح طلبهم لأنهم أهانوه واحتقروا معجزاته التي صنعها قبلاً رحمة بالناس إذ اعتبروها بقوة رئيس الشياطين، فقال المسيح أنه لن يعطيهم سوى آية يونان النبي "٣٩فَأَجابَ وَقَالَ لَهُمْ:«جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ " (مت ١٢: ٣٩) أي معجزة يونان النبي. وقد وضح المسيح ما يقصده من آية يونان النبي بل حدده تحديداً في العدد التالي مباشرة إذ قال: "٤٠لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْب الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال " (مت ١٢: ٤٠) والمراد بذلك قيامته بعد موته، أي أنه كما خرج يونان حياً بمعجزة بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال قضاها في جوف الحوت هكذا يبقى المسيح في القبر مدة مماثلة ثم يقوم من الأموات، مع الفارق طبعاً، إذ أن يونان لم يمت بل حفظ حياً رغم الأسباب التي كانت كافية أن تميته في جوف الحوت فقام شبه قيامة من شبه موت، وقد اعتبر المسيح قيامته أعظم معجزاته، وأنها توجب على اليهود الاقتناع بصحة دعواه، وأنها الحجة العظمى لإثبات أنه

المسيا، لذلك لا عذر لهم إن لم يؤمنوا بعد ذلك. وبناء على تفسير المسيح لآية يونان النبي يكون بقاء يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال وخروجه حياً بعد ذلك هو وحده الرمز لمعجزة قيامة المسيح بعد قضائه ثلاثة أيام وثلاث ليال في القبر في بطن الأرض. وقول المسيح "٣٠لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ آيَةً لأَهْلِ نِينَوَى، كَذلِكَ يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ أَيْضًا لِهذَا الْجِيلِ " (لو ١١: ٣٠) يعني أن أهل نينوى رأوا في يونان المعجزة التي صنعها الرب بإخراجه حياً من بطن الحوت ليحمل رسالة الرب إليهم، فبالمثل تكون قيامة المسيح آخر وأعظم معجزاته التي ستجعل اليهود بلا عذر إذا استمروا في قساوة قلوبهم. وكما أن معجزة خروج يونان حياً من جوف الحوت أيدت رسالة يونان لأهل نينوى وكانت سبباً في إيمانهم، كذلك فإن معجزة قيامة المسيح من الأموات سوف تؤيد إنجيله، وسوف تخدم في نجاح إرسالية الذين سيكرزون باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم "٤٧وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ " (لو ٢٤: ٤٧).

وفي الإصحاح الثاني من إنجيل يوحنا نقرأ عن نفس الموضوع وهو معجزة قيامة المسيح فعندما قلب المسيح موائد الصيارف وطرد الذين كانوا يبيعون البقر والغنم والحمام من الهيكل في أورشليم قال له اليهود " أَيَّةَ آيَةٍ تُرِينَا حَتَّى تَفْعَلَ هذَا؟ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ:انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ ... وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ " (يو ٢: ١٨ – ٢١) قال المسيح هذا عن هيكل جسده الذي كان عتيداً أن ينقض بالموت وفي اليوم الثالث قام من الأموات. وأما عن طريقة حساب ثلاثة الأيام وثلاث الليالي التي قضاها المسيح في القبر فإن اليوم لا يعني يوماً كاملاً

أي أربعة وعشرين ساعة، لأن اليهود كانوا يحسبون الجزء من اليوم يوماً كاملاً كما جاء في المواضع الستة الآتية:

١ – (تك ٤٢: ١٧، ١٨) "فَجَمَعَهُمْ إِلَى حَبْسٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ يُوسُفُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ: «افْعَلُوا هذَا وَاحْيَوْا. أَنَا خَائِفُ اللهِ ".

٢ – (قضاة ١٤: ١٧، ١٨) "١٧فَبَكَتْ لَدَيْهِ السَّبْعَةَ الأَيَّامِ الَّتِي فِيهَا كَانَتْ لَهُمُ الْوَلِيمَةُ. وَكَانَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ أَنَّهُ أَخْبَرَهَا لأَنَّهَا ضَايَقَتْهُ، فَأَظْهَرَتِ الأُحْجِيَّةَ لِبَنِي شَعْبِهَا. ١٨فَقَالَ لَهُ رِجَالُ الْمَدِينَةِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ: «أَيُّ شَيْءٍ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَمَا أَجْفَى مِنَ الأَسَدِ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «لَوْ لَمْ تَحْرُثُوا عَلَى عِجْلَتِي، لَمَا وَجَدْتُمْ أُحْجِيَّتِي ".

٣ – (١صم ٣٠: ١، ١٢، ١٣) "١وَلَمَّا جَاءَ دَاوُدُ وَرِجَالُهُ إِلَى صِقْلَغَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ... ١٢وَأَعْطَوْهُ قُرْصًا مِنَ التِّينِ وَعُنْقُودَيْنِ مِنَ الزَّبِيبِ، فَأَكَلَ وَرَجَعَتْ رُوحُهُ إِلَيْهِ، لأَنَّهُ لَمْ يَأْكُلْ خُبْزًا وَلاَ شَرِبَ مَاءً فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ وَثَلاَثِ لَيَالٍ. ١٣فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: «لِمَنْ أَنْتَ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟» فَقَالَ: «أَنَا غُلاَمٌ مِصْرِيٌّ عَبْدٌ لِرَجُل عَمَالِيقِيٍّ، وَقَدْ تَرَكَنِي سَيِّدِي لأَنِّي مَرِضْتُ مُنْذُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ".

٤ – (١مل ٢٠: ٢٩) "٢٩فَنَزَلَ هؤُلاَءِ مُقَابِلَ أُولئِكَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ اشْتَبَكَتِ الْحَرْبُ، فَضَرَبَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الأَرَامِيِّينَ مِئَةَ أَلْفِ رَاجِل فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ".

٥ – (٢أخ ١٠: ٥، ١٢) "٥فَقَالَ لَهُمُ: «ارْجِعُوا إِلَيَّ بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ». فَذَهَبَ الشَّعْبُ ... ١٢فَجَاءَ يَرُبْعَامُ وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِلَى رَحُبْعَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ كَمَا تَكَلَّمَ الْمَلِكُ قَائِلاً: «ارْجِعُوا إِلَيَّ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ".

٦ – (أستير ٤: ١٦ ، ٥: ١) " اذْهَبِ اجْمَعْ جَمِيعَ الْيَهُودِ الْمَوْجُودِينَ فِي شُوشَنَ وَصُومُوا مِنْ جِهَتِي وَلاَ تَأْكُلُوا وَلاَ

تَشْرَبُوا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لَيْلاً وَنَهَارًا ... ١وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ (وليس الرابع) لَبِسَتْ أَسْتِيرُ ثِيَابًا مَلَكِيَّةً وَوَقَفَتْ فِي دَارِ بَيْتِ الْمَلِكِ الدَّاخِلِيَّةِ مُقَابِلَ بَيْتِ الْمَلِكِ ". فتكون المدة التي قضاها المسيح في القبر جزءاً من يوم الجمعة قبل غروب الشمس ثم يوم السبت من غروب شمس الجمعة إلى غروب شمس السبت ثم جزءاً من يوم الأحد بعد غروب شمس السبت أي أن المسيح قضى في القبر يوماً عادياً وجزءاً من كل من اليومين الآخرين. وقد كان اصطلاحا عند اليهود أن يعبروا عن اليوم بأنه يوم وليلة. ولا يمكن أن ينسجم مع قصة يونان أن نعتبره رمزاً للمؤمن الذي مات مع المسيح وقام، ولا أن نعتبر أنه اختبر الموت مع المسيح وخرج من بطن الحوت إنساناً جديداً، ذلك لأن يونان قبل دخوله بطن الحوت كان مؤمناً وكان نبياً وكلفه الرب بالمناداة لأهل نينوى، ويونان لم يحصل على الخلاص من خطاياه أثناء وجوده في بطن الحوت. وفترة وجوده في بطن الحوت لم تكن سوى فترة تأديب له كمؤمن سبق أن خلص من خطاياه ثم عصا واحتاج إلى تأديب لرد نفسه " أَيُّ ابْنٍ لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟ " (عب ١٢: ٧).

وعندما هدأت العاصفة بعد طرح يونان في البحر ازداد الملاحون اعتقاداً بأن إله يونان هو الإله الحقيقي وحده صانع البحر والبر كما قال لهم يونان "١٦فَخَافَ الرِّجَالُ مِنَ الرَّبِّ خَوْفًا عَظِيمًا " (ع ١٦). أخذتهم رهبة عظيمة من إله إسرائيل عندما رأوا قدرته في إثارة العاصفة وفي تسكينها " وَذَبَحُوا ذَبِيحَةً لِلرَّبِّ " (ع ١٦) لأنهم آمنوا به ورأوا صلاحه معهم إذ أنقذهم وهم على حافة الهلاك " وَنَذَرُوا نُذُورًا " (ع ١٦) أي وعدوا بأن يقدموا ذبائح أخرى عندما يصلون إلى البر، اعترافاً منهم بجميله معهم في إنقاذهم.

خامساً: نجاة يونان المعجزية بواسطة الحوت

"١٧وَأَمَّا الرَّبُّ فَأَعَدَّ حُوتًا عَظِيمًا لِيَبْتَلِعَ يُونَانَ. فَكَانَ يُونَانُ فِي جَوْفِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال " (ع ١٧).

واضح أن ابتلاع الحوت (الكلمة الأصلية سمكة عظيمة قد تكون كلب بحر أو حوتاً) ليونان لم يحدث صدفة، لأن حياة المؤمن لا يمكن أن يحدث فيها شيء خارجاً عن العناية الإلهية. لقد أعد الله هذا الحوت العظيم ذا الفم الواسع والحلق الكبير تحت السفينة لكي يبتلع يونان ويحفظه من الغرق وينقذ حياته، مع أنه كان يستحق الموت. لقد أشفق الله على يونان رغم أنه هرب منه وأغضبه، لكن الله في الغضب يذكر الرحمة " فِي الْغَضَبِ اذْكُرِ الرَّحْمَةَ " (حب ٣: ٢) كان من مراحم الله على يونان لم يفن. لقد ابتلع الحوت يونان كما أمره الرب ولم يأكله بأسنانه، وبمعجزة حفظ الله يونان من أن يهضم بعصارات معدة الحوت، كما حفظه من أن يموت بسبب حرارة جوف الحوت، وأيضاً حفظه من أن يختنق وهو داخل بطن الحوت. لقد قصد الله أن يؤدب يونان ويعيده إلى خدمته لا أن يميته، فحفظه ليكون كارزاً ناجحاً لنينوى، فإذا ما وصلت أهل نينوى أنباء هذه المعجزة التي تمت لإنقاذه أدت إلى نجاح كرازته ويكون إنقاذ يونان آية لهم.

الإصحاح الثاني

١فَصَلَّى يُونَانُ إِلَى الرَّبِّ إِلهِهِ مِنْ جَوْفِ الْحُوتِ، ٢وَقَالَ: «دَعَوْتُ مِنْ ضِيقِي الرَّبَّ، فَاسْتَجَابَنِي. صَرَخْتُ مِنْ جَوْفِ الْهَاوِيَةِ، فَسَمِعْتَ صَوْتِي. ٣لأَنَّكَ طَرَحْتَنِي فِي الْعُمْقِ فِي قَلْبِ الْبِحَارِ، فَأَحَاطَ بِي نَهْرٌ. جَازَتْ فَوْقِي جَمِيعُ تَيَّارَاتِكَ وَلُجَجِكَ. ٤فَقُلْتُ: قَدْ طُرِدْتُ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيْكَ. وَلكِنَّنِي أَعُودُ أَنْظُرُ إِلَى هَيْكَلِ قُدْسِكَ. ٥قَدِ اكْتَنَفَتْنِي مِيَاهٌ إِلَى النَّفْسِ.

أَحَاطَ بِي غَمْرٌ. الْتَفَّ عُشْبُ الْبَحْرِ بِرَأْسِي. ٦نَزَلْتُ إِلَى أَسَافِلِ الْجِبَالِ. مَغَالِيقُ الأَرْضِ عَلَيَّ إِلَى الأَبَدِ. ثُمَّ أَصْعَدْتَ مِنَ الْوَهْدَةِ حَيَاتِي أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي. ٧حِينَ أَعْيَتْ فِيَّ نَفْسِي ذَكَرْتُ الرَّبَّ، فَجَاءَتْ إِلَيْكَ صَلاَتِي إِلَى هَيْكَلِ قُدْسِكَ. ٨اَلَّذِينَ يُرَاعُونَ أَبَاطِيلَ كَاذِبَةً يَتْرُكُونَ نِعْمَتَهُمْ. ٩أَمَّا أَنَا فَبِصَوْتِ الْحَمْدِ أَذْبَحُ لَكَ، وَأُوفِي بِمَا نَذَرْتُهُ. لِلرَّبِّ الْخَلاَصُ».وَأَمَرَ الرَّبُّ الْحُوتَ فَقَذَفَ يُونَانَ إِلَى الْبَرِّ.

باستثناء العددين الأول والأخير من هذا الإصحاح اللذين يعتبران جزءاً من القصة، فإن باقي الأصحاح يحتوي على صلاة جميلة، أو ترنيمة تتكون من أفكار يونان وهو في بطن الحوت، مع شكره للرب من أجل إنقاذه إياه من الموت. إن مادة هذه الصلاة تكونت أثناء وجود يونان في بطن الحوت، ومن المحتمل أنه نظمها شعراً بعد خروجه، وأضاف إليها بعض العبارات عن استجابة الرب لصلاته وإنقاذه، لأنه يتكلم عن إنقاذ الرب له كشيء قد تم. يسجل لنا الروح القدس في العدد الأول أن " فَصَلَّى يُونَانُ إِلَى الرَّبِّ إِلهِهِ مِنْ جَوْفِ الْحُوتِ " (ع ١). وفي العدد السادس يذكر يونان " ثُمَّ أَصْعَدْتَ مِنَ الْوَهْدَةِ حَيَاتِي أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي " وهذا دليل على أن مركز المؤمن ثابت أمام الله حتى وهو في حالة ضعفه، والرب يعترف بأنه إلهه، ومحبة الرب للمؤمن لا تتغير ولو كان تحت التأديب. وفي هذا تشجيع لكل ضعيف وكل مرتد حتى يرجع إلى الرب لأنه إلهه. "هَا قَدْ أَتَيْنَا إِلَيْكَ، لأَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ إِلهنا " (ار ٣: ٢٢). لم يذكر يونان كل ما قاله في صلاته ولا ما طلبه من الرب، لكن يمكننا أن نفهم أنه قدم للرب خضوعه، وأعلن استعداده للذهاب إلى نينوى، فلولا خضوع يونان ما سمع الرب صلاته، لأن الرب يسر باستماع صوته (أي طاعته) أفضل

مما يسر بالذبيحة، ويعتبر أن التمرد كخطية العرافة، وأن العتاد كالوثن والترافيم "٢٢فَقَالَ صَمُوئِيلُ: «هَلْ مَسَرَّةُ الرَّبِّ بِالْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ كَمَا بِاسْتِمَاعِ صَوْتِ الرَّبِّ؟ هُوَذَا الاسْتِمَاعُ أَفْضَلُ مِنَ الذَّبِيحَةِ، وَالإِصْغَاءُ أَفْضَلُ مِنْ شَحْمِ الْكِبَاشِ. ٢٣لأَنَّ التَّمَرُّدَ كَخَطِيَّةِ الْعِرَافَةِ، وَالْعِنَادُ كَالْوَثَنِ وَالتَّرَافِيمِ. لأَنَّكَ رَفَضْتَ كَلاَمَ الرَّبِّ رَفَضَكَ مِنَ الْمُلْكِ" (١صم ١٥: ٢٢، ٢٣). ويقول المرنم: "١٨إِنْ رَاعَيْتُ إِثْمًا فِي قَلْبِي لاَ يَسْتَمِعُ لِيَ الرَّبُّ" (مز ٦٦: ١٨).

كما يمكننا أن نفهم أن يونان طلب من الرب إنقاذه من الموت في جوف الحوت. وفي هذه الصلاة يذكر يونان أمرين هما:

أ – الضيق وما صاحبه من يأس وشعور بغضب الله.

ب – الصلاة وما صاحبها من رجاء وإيمان في استجابة الله.

أ	ب
١ – من ضيقي من جوف الهاوية.	دعوت الرب فاستجابني. صرخت فسمعت صوتي.
٢ – لأنك طرحتني في العمق في قلب البحار فأحاط بي نهر. جازت فوقي جميع تياراتك ولججك. فقلت قد طردت من أمام عينيك.	ولكنني أعود أنظر إلى هيكل قدسك. ثم أصعدت من الوهدة حياتي أيها الرب إلهي.
٣ – قد اكتنفتني مياه إلى النفس. أحاط بي غمر. التف عشب البحر برأسي. نزلت إلى أسافل الجبال. مغاليق	ذكرت الرب فجاءت إليك صلاتي إلى هيكل قدسك.

الأرض عليّ إلى الأبد. ٤ – حين أعيت فيّ نفسي. ٥ – الذين يراعون أباطيل كاذبة يتركون نعمتهم.	أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك. وأوفى بما نذرته. للرب الخلاص.

يتكلم يونان عن الضيق خمس مرات مما يدل على أن الضيق كان شديداً عليه، وفي كل مرة يذكر أنه لجأ إلى الله الذي يستجيب الصلاة، ولجأ إلى رحمته المنقذة، وعبر عن إيمانه في استجابة الله. إنها قطعة شعرية جميلة تسير بنظام بديع. يذكر يونان أن الضيق هو الذي جعله يصلي بل ويصرخ إلى الله، ويصف هذا الضيق بأنه كان كافياً أن يقوده إلى موت محقق، لأنه يشبه جوف الحوت بجوف الهاوية، والهاوية هي مكان أرواح الموتى أو جوف القبر " دَعَوْتُ مِنْ ضِيقِي الرَّبَّ، فَاسْتَجَابَنِي. صَرَخْتُ مِنْ جَوْفِ الْهَاوِيَةِ، فَسَمِعْتَ صَوْتِي" (ع ٢). وقد فهم يونان أن الله هو الذي أدخله في هذا الضيق وهو الذي طرحه في العمق في قلب البحار "٣لأَنَّكَ طَرَحْتَنِي فِي الْعُمْقِ فِي قَلْبِ الْبِحَارِ" (ع ٣) مع أنه يذكر في الإصحاح الأول أن البحارة هم الذين طرحوه في البحر، فالبحارة لم يكونوا سوى أدوات في يد الله ينفذون حكمه على يونان. ثم يذكر أن التيارات واللجج التي جازت فوقه هي تيارات ولجج الله أي أن الله هو الذي أرسلها لتضايقه وتهدده إذ يقول " فَأَحَاطَ بِي نَهْرٌ. جَازَتْ فَوْقِي جَمِيعُ تَيَّارَاتِكَ وَلُجَجِكَ" (ع ٣). ونفس هذه العبارة قالها كاتب المزمور الثاني والأربعين في العدد السابع ليعبر بها بالمعنى المجازي عن الضيق الذي

كان يجوز فيه، ووجد يونان أنه من المناسب أن يستعير هذه العبارة ليعبر بها عن تيارات ولجج البحر التي جازت فوقه حرفياً وهو في بطن الحوت، الذي كان ينزل إلى الأعماق بحثاً عن الطعام فتجوز فوقه هذه التيارات واللجج، فما قاله داود النبي من باب التشبيه والاستعارة طبقه يونان على نفسه إذ تم فيه حرفياً. ويشكو يونان من فيضانات مياه البحر التي كانت تحيط به وتجري فوقه دائماً كمياه النهر في تتابعها.

وقد شعر يونان بغضب الله عليه، وظن أن الله قد طرده من حضرته ولم يعد يعترف به أو يرحمه، وهذا الشعور هو غاية البؤس والتعاسة "٤فَقُلْتُ: قَدْ طُرِدْتُ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيْكَ" (ع ٤). يواصل يونان وصف الضيق الذي جاز فيه فيذكر أن المياه قد اكتنفته إلى النفس أي هددت حياته وأثرت في نفسيته إذ رأى فيها غضب الله عليه "٥قَدِ اكْتَنَفَتْنِي مِيَاهٌ إِلَى النَّفْسِ" (ع ٥). كما ذكر أنه قد أحاط بي غمر، فحتى إذا أمكنه الخروج من سجنه فإن الغمر الذي يحيط به سيهلكه " أَحَاطَ بِي غَمْرٌ" (ع ٥). وشكا يونان من أن عشب البحر الذي كان يلتهمه الحوت قد التف برأسه وكاد يخنقه وهو في معدة الحوت " الْتَفَّ عُشْبُ الْبَحْرِ بِرَأْسِي" (ع ٥). وذكر أنه نزل إلى أسافل الجبال التي كانت تمتد من البر إلى أعماق البحر حيث كان يذهب به الحوت "٦نَزَلْتُ إِلَى أَسَافِلِ الْجِبَالِ" (ع ٦). وظن أنه لا رجاء في عودته للحياة مرة أخرى إذ يصور الأرض كلها سجناً له مغاليق (أي أقفال) ويذكر أنها قد أغلقت عليه وهو في أسافل الجبال وأنه لن يستطيع أن يخرج من هذا السجن ويعود إلى أرض الأحياء " مَغَالِيقُ الأَرْضِ عَلَيَّ إِلَى الأَبَدِ" (ع ٦) كما ذكر أن نفسه أعيت فيه.

لقد ذابت نفسه وخارت كل قواه "٧حِينَ أَعْيَتْ فِيَّ نَفْسِي ذَكَرْتُ الرَّبَّ" ووبخ نفسه على أنه راعي أباطيل كاذبة "٨اَلَّذِينَ يُرَاعُونَ أَبَاطِيلَ كَاذِبَةً يَتْرُكُونَ نِعْمَتَهُمْ" (ع ٨). أي يتركون الرحمة التي أعدها الله لهم، ولعله كان يقصد بذلك تدبيراته للهروب من وجه الرب. أنها أباطيل كاذبة، أي أنها لم تنجح ولم تنفعه بشيء بل تسببت في تركه رحمة الله ونعمة رضائه عليه وأوقعته تحت التأديب، أو لعله كان يقصد بالأباطيل الكاذبة آماله في أن يتراجع الرب عن قصده بخصوص توصيل الإنذار إلى أهل نينوى، أو آماله في أن يختار الله نبياً آخر غيره لهذه المهمة. هذه الآمال خابت ولم تتحقق بل تسببت في وقوعه تحت التأديب.

يونان قال هذه العبارة (الذي يراعون أباطيل كاذبة ...) وهو في جوف الحوت حيث لم يكن معه أحد من البشر يسمع هذه الصلاة، ولذلك لا يمكن أن يكون قصد يونان من هذه العبارة أن ينصح الآخرين، ولا أن يحكي عن البحارة وآلهتهم الباطلة التي لم تنفعهم عندما صرخوا إليها كما ذكر بعض المفسرين. هذه العبارة كانت جزءاً من صلاته إلى الرب، ولا يمكن أن يقصد بها إلا نفسه من جهة أفكاره ومحاولته الهروب من الرب، لقد خابت آماله وفشلت محاولته في الهروب، ولم يحصد سوى حرمانه من رضاء الرب عليه، ووقوعه تحت التأديب. واختبار يونان هذا قد يتكرر معنا نحن، فإننا إذا راعينا الأباطيل الكاذبة فلابد أن نحصد نتيجة ذلك وهو أننا نترك نعمتنا.

أو قد يكون يونان قد قصد بالأباطيل الكاذبة الأصنام أي الآلهة الباطلة وذلك لأن سفر التثنية يصف الأوثان التي عبدها بنو إسرائيل بالأصنام الباطلة "٧ذَبَحُوا لأَوْثَانٍ لَيْسَتِ

اللهَ. لآلِهَةٍ لَمْ يَعْرِفُوهَا، أَحْدَاثٍ قَدْ جَاءَتْ مِنْ قَرِيبٍ لَمْ يَرْهَبْهَا آبَاؤُكُمْ ... ٢١هُمْ أَغَارُونِي بِمَا لَيْسَ إِلهًا، أَغَاظُونِي بِأَبَاطِيلِهِمْ. فَأَنَا أُغِيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْبًا، بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُهُمْ" (تث ٣٢: ١٧، ٢١).وكذلك (مز ٣١: ٦) "٦أَبْغَضْتُ الَّذِينَ يُرَاعُونَ أَبَاطِيلَ كَاذِبَةً. أَمَّا أَنَا فَعَلَى الرَّبِّ تَوَكَّلْتُ" ؟ وفي هذه الحالة يكون يونان قد قصد أن يقارن بين عبادة أولئك الذين يعبدون الأصنام وبين عبادته هو للرب، مثلما فعل يشوع بن نون إذ قال للشعب "١٥وَإِنْ سَاءَ فِي أَعْيُنِكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا الرَّبَّ، فَاخْتَارُوا لأَنْفُسِكُمُ الْيَوْمَ مَنْ تَعْبُدُونَ... وَأَمَّا أَنَا وَبَيْتِي فَنَعْبُدُ الرَّبّ" (يش ٢٤: ١٥). وكما قارن داود بين ما عمله الذين أسرعوا وراء آخر وبيت اختياره هو الرب نصيباً له غذ قال "٤تَكْثُرُ أَوْجَاعُهُمُ الَّذِينَ أَسْرَعُوا وَرَاءَ آخَرَ...٥الرَّبُّ نَصِيبُ قِسْمَتِي" (مز ١٦: ٤، ٥) وكذلك ما قاله في (مز ٣١: ٦) "٦أَبْغَضْتُ الَّذِينَ يُرَاعُونَ أَبَاطِيلَ كَاذِبَةً" (وفي ترجمة أخرى أبغضت المتعبدين للأصنام الباطلة) أَمَّا أَنَا فَعَلَى الرَّبِّ تَوَكَّلْتُ". وآساف أيضاً قال "٢٧لأَنَّهُ هُوَذَا الْبُعَدَاءُ عَنْكَ يَبِيدُونَ. ٢٨أَمَّا أَنَا فَالاقْتِرَابُ إِلَى اللهِ حَسَنٌ لِي" (مز ٧٣: ٢٧، ٢٨). ويونان هنا يقول أن "٨الَّذِينَ يُرَاعُونَ أَبَاطِيلَ كَاذِبَةً يَتْرُكُونَ نِعْمَتَهُمْ (أي الذين يبجلون الآلهة الباطلة). ٩أَمَّا أَنَا فَبِصَوْتِ الْحَمْدِ أَذْبَحُ لَكَ" (يونان ٢: ٨، ٩).وكأنه يقول للرب: إن الذين يعبدون الآلهة الباطلة ويتركونك يا رب هم مساكين لأنهم يتركون مصدر نعمتهم أما أنا فإن قراري وإصراري أن أتعبد لك وأقدم لجلالك ذبيحة الحمد لأنك مصدر نعمتي الذي لا أستطيع أن استغنى عنه.

قضى يونان ثلاثة أيام وثلاث ليال في جوف الحوت قبل أن يصلي إلى الرب "١٧وَأَمَّا الرَّبُّ فَأَعَدَّ حُوتًا عَظِيمًا لِيَبْتَلِعَ يُونَانَ.

فَكَانَ يُونَانُ فِي جَوْفِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال" (ص١: ١٧) إذ يذكرني أول الإصحاح الثاني "فصلى يونان" حينئذ صلى أو بعد ذلك صلى. لقد تأخر يونان في الصلاة لأنه تأخر في الخضوع والرجوع إلى الرب. لقد ظل عنيداً يقاسي ويتألم من السجن المظلم في جوف الحوت، ومن الوحدة القاسية، ومن الجوع والعطش ، ومن الحرارة الشديدة في جوف الحوت، ومن حركات الحوت العنيفة (وهو يسبح) ، تلك التي كانت تلقيه يميناً ويساراً، أو تقلبه رأساً على عقب فتصيبه بالدوار طوال الوقت لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال، فلم ينعم بأية راحة، ولولا أن اشتد عليه الضيق وأعيت فيه نفسه وكاد يغمى عليه، بل كاد يلفظ أنفاسه الأخيرة إذ واجه الموت وجهاً لوجه، الشيء الذي يصفه بأنه "جوف الهاوية" (ع ٢) لولا كل ذلك لما صرخ إلى الرب " دَعَوْتُ مِنْ ضِيقِي" (ع ٢) "٧حِينَ أَعْيَتْ فِيَّ نَفْسِي ذَكَرْتُ" (ع ٧) يونان وهو تحت التأديب ظن أنه طرد من أمام عيني الرب وأن الأرض مغلقة بمغاليق أمامه إلى الأبد ولا أمل له في الحياة. لم تحدث أمامه سابقة واحدة أن خرج شخص حياً من جوف حوت، فقد كان الأمر يحتاج إلى معجزة، لكن كيف ينتظر يونان معجزة من إله قد ترك خدمته وأغضبه؟ لقد بدا يغرق في بالوعة اليأس وظن أن الله تركه مثل صهيون التي قالت " قَدْ تَرَكَنِي الرَّبُّ، وَسَيِّدِي نَسِيَنِي" (إش ٤٩: ١٤) هذه أوهام عدم الإيمان، لكن بعد ذلك أفاق لنفسه واستطاع بإيمانه أن يغلب هذه الأوهام، فصرخ إلى الرب ووثق أنه سيرحمه وعندئذ سيعود ينظر إلى هيكل قدسه أي هيكله المقدس. وثق أنه سوف يحيا ويسبح الله. سوف ينظر إلى جمال الرب ويتفرس في هيكله "٤وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ الرَّبِّ وَإِيَّاهَا أَلْتَمِسُ: أَنْ

أَسْكُنَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي، لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى جَمَالِ الرَّبِّ، وَأَتَفَرَّسَ فِي هَيْكَلِهِ" (مز ٢٧: ٤). سوف يتمتع بالشركة مع الله في فرائضه المقدسة. والرجل الصالح لا يود أن يحيا إلا لهذا الغرض "١٧٥لِتَحْيَ نَفْسِي وَتُسَبِّحَكَ، وَأَحْكَامُكَ لِتُعِنِّي" (مز ١١٩: ١٧٥). عندما أراد حزقيا الملك أن يتأكد من شفائه سأل «مَا هِيَ الْعَلاَمَةُ أَنِّي أَصْعَدُ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ؟». (إش ٣٨: ٢٢) كانت الغاية التي تمنى الصحة من أجلها أن يصعد إلى بيت الرب ويتعبد له.

يذكر يونان أن الرب "استجاب" صلاته بصيغة الماضي وأنقذ من الوهدة (أي الفساد) حياته، أي أنقذه من خطر الموت، لأنه تيقن بالإيمان أن الاستجابة قد تمت فعلاً " ثُمَّ أَصْعَدْتَ مِنَ الْوَهْدَةِ حَيَاتِي أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي" (ع ٦). ويختم يونان قصة صلاته بأنه قدم ذبيحة حمد للرب اعترافاً بجميل الرب الذي استجاب صلاته وأنقذ حياته "٩أَمَّا أَنَا فَبِصَوْتِ الْحَمْدِ أَذْبَحُ لَكَ" (ع ٩). كان الاعتراف بجميل الرب يعبر عنه بتقديم ذبيحة لله، وكان مقدم الذبيحة لا يقدمها عوضاً عن نفسه بل علامة على نفسه، ويونان الآن يعبر عن هذه الذبيحة بصوت الحمد. ويعبر عنها هوشع النبي بأنها " عُجُولَ شِفَاهِنَا" (هو ١٤: ٢) ويعبر عنها كاتب الرسالة إلى العبرانيين بأنها " ثَمَرَ شِفَاهٍ" (عب ١٣: ١٥) وكاتب المزمور الخمسين يعبر أيضاً عن الحمد بأنه ذبيحة وأنه يمجد الله "٢٣ذَابحُ الْحَمْدِ يُمَجِّدُنِي" (مز ٥٠: ٢٣).

بعد تقديم يونان ذبيحة الحمد يذكر أنه سيوفي بما نذره " وَأُوفِي بِمَا نَذَرْتُهُ" (ع ٩) ولعل النذر الذي نذره وهو في جوف الحوت كان أن يذهب إلى نينوى ليُنادي لأهلها برسالة الرب إن هو أنقذه. لقد تمم الوصية المذكورة في المزمور

الخمسين أيضا "١٤اِذْبَحْ للهِ حَمْدًا، وَأَوْفِ الْعَلِيَّ نُذُورَكَ" (مز ٥٠: ١٤). ثم يذكر يونان أيضاً أن الخلاص (أي الإنقاذ) سيأتيه من عند الرب " لِلرَّبِّ الْخَلاَصُ" (ع ٩) فهو وحده القادر أن يخلص من كل خطر مهما اشتد ومن كل ضيق مهما عظم. يخلص من يحتمون به "٤٠وَيُعِينُهُمُ الرَّبُّ وَيُنَجِّيهِمْ. يُنْقِذُهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ وَيُخَلِّصُهُمْ، لأَنَّهُمُ احْتَمَوْا بِهِ" (مز ٣٧: ٤٠). نلاحظ أن يونان عندما كان في السفينة نام دون أن يصلي، ولكنه وهو في جوف الحوت صلى بسبب الضيق الذي كان فيه. يونان الذي هرب من وجه الرب جعله الضيق يهرب إلى الرب. الرب يدخل المؤمن في الضيقات لكي يوقظه ويقوده إلى الصلاة. والرب يشجعنا أن ندعوه في يوم الضيق "ادْعُنِي فِي يَوْمِ الضِّيقِ أُنْقِذْكَ فَتُمَجِّدَنِي" (مز ٥٠: ١٥) إن كنا بسبب خطايانا نجلب على أنفسنا المتاعب لكننا عندما نصلي بإتضاع وإخلاص فإن الرب يستجيب لنا. إن إلهنا إله عجيب فهو يسمع حتى الهمسات الضعيفة الصادرة من العمق في قلب البحار. الله يسمع الصلاة مهما بعد المكان الذي صدرت منه. لقد سُمعت صلاة يونان في أعلى السماوات رغم أنها قدمت من أعماق البحر، لأن الصلاة الخارجة من القلب لابد أن تصعد إلى الله في هيكل قدسه، ولا يوجد ما يعوق وصول الصلاة إلى الله إلا الخطية وعدم الإيمان. لقد صرخ يونان إلى الله لكنه لم يصرخ عبثاً. الله في عطفه تحنن على يونان وقبل صلاته. أنه سامع الصلاة الذي إليه يأتي كل بشر " ذَكَرْتُ الرَّبَّ، فَجَاءَتْ إِلَيْكَ صَلاَتِي إِلَى هَيْكَلِ قُدْسِكَ" (ع ٧) لقد تأخر يونان في الصلاة لكن الله لم يتأخر في الاستجابة "١٠وَأَمَرَ الرَّبُّ الْحُوتَ فَقَذَفَ يُونَانَ إِلَى الْبَرِّ" (ع ١٠) ما أفظع قساوة قلب الإنسان التي ظهرت في عصيان يونان، وما

أعظم رحمة الله التي ظهرت في غفرانه وصفحه عن معصية يونان، كما ظهر أيضا في تأديبه له "٦لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ" (عب ١٢: ٦) والتأديب بركة في حياة المؤمن، فقد أعاد التأديب يونان إلى الله وإلى الرسالة.

لقد استجاب الرب صلاة يونان وأنقذه من الموت في جوف الحوت، وتكلم الرب مع الحوت وأمره أن يقذف يونان إلى البر. لكن لماذا تكلم الرب مع الحوت ولم يتكلم مع يونان في جوف الحوت رغم أنه استجاب صلاته؟

١ – نقرأ في الإصحاح الخامس من إنجيل يوحنا أن الرب يسوع قال لمريض بركة بيت حسدا " قُمِ. احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ». ٩فَحَالاً بَرِئَ الإِنْسَانُ وَحَمَلَ سَرِيرَهُ وَمَشَى" (يو ٥: ٨، ٩) "١٤بَعْدَ ذلِكَ وَجَدَهُ يَسُوعُ فِي الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ:«هَا أَنْتَ قَدْ بَرِئْتَ، فَلاَ تُخْطِئْ أَيْضًا، لِئَلاَّ يَكُونَ لَكَ أَشَرُّ»" (يو ٥: ١٤). كما نقرأ في الإصحاح الثامن من نفس الإنجيل أن الرب يسوع قال للمرأة التي أمسكت في زنا «يَاامْرَأَةُ، أَيْنَ هُمْ أُولئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكِ؟ أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟» ١١فَقَالَتْ: «لاَ أَحَدَ، يَا سَيِّدُ!». فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ:«وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضًا» (يو ٨: ١٠، ١١). فبعد الغفران هناك تنبيه "لا تخطئ أيضا" ولعل صمت الرب عن أن يكلم يونان وهو في بطن الحوت كان يعني هذا التنبيه بأن لا يخطئ أيضاً.

٢ – ولعل صمت الرب عن أن يكلم يونان كان نوعاً من العتاب لأن الله يحزن عندما نخطئ إليه، فعندما رأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض ... حزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه "٥وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. ٦فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ،

وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ" (تك ٦: ٥، ٦). وعندما أخطأ داود خطيته المشهورة أرسل الرب يعاتبه قائلاً "٩لِمَاذَا احْتَقَرْتَ كَلاَمَ الرَّبِّ لِتَعْمَلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيْهِ ..... أَنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ بِهذَا الأَمْرِ أَعْدَاءَ الرَّبِّ يَشْمَتُونَ" (٢صم ١٢: ٩، ١٤).

٣ – وربما لأن يونان لم يكن إلى ذلك الوقت قد حكم على ذاته تماماً، فقد نبع من قلبه غضب وغيظ من الله بسبب رحمة الله التي أعطيت لأهل نينوى، كما أن يونان كان لا يزال غير مشفق على أهل نينوى، وغير راغب في نجاتهم، وكل هذا سبب حزناً شديداً لقلب الله، وظهر هذا الحزن في عدم كلامه معه. قذف الحوت يونان إلى البر كما أمره الرب، فالرب صاحب السلطان على كل الخليقة، فالطبيعة والحيوانات كلها تحت أمر الرب يستخدمها كما يشاء ويتمم بها مقاصده، وهي جميعها طوع أمره، ولكن الإنسان هو الذي يصم أذنيه عما يقوله الله "اللهَ يَتَكَلَّمُ مَرَّةً، وَبِاثْنَتَيْنِ لاَ يُلاَحِظُ الإِنْسَانُ.... ١٦حِينَئِذٍ يَكْشِفُ آذَانَ النَّاسِ وَيَخْتِمُ عَلَى تَأْدِيبِهِمْ" (أي ٣٣: ١٤، ١٦).

ماذا حصد يونان من جراء عصيانه وهروبه؟!! لقد تحمل مشقة السفر إلى يافا، وضاع منه وقت كان يجب أن يفتديه، وضاعت منه كرامته وسط البحارة، ولم يحصد من هروبه سوى التأديب القاسي، وإذ قذفه الحوت إلى البر عاد من حيث بدأ، ولابد أنه كان ضعيفاً هزيلاً متهالكاً شاحب الوجه بعد ثلاثة أيام من الجوع والعطش والألم. كما أنه اضطر بالوحي الإلهي أن يحكي لنا قصة هروبه المخجلة وعصيانه المعيب، فأصبح عبرة لكل الأجيال التي أتت بعده في كل مكان يصل إليه الكتاب المقدس. ونلاحظ أن يونان كان دارساً لكلمة الله وأنه كان يختزنها في قلبه وفي ذهنه، ولذلك لجأ

إلى ذاكرته فأمدته بالعبارات المناسبة لحالته من سفر المزامير الذي يقدم لنا كثيراً من اختبارات المؤمنين وصلواتهم في أوقات الضيق التي اجتازوها، ونحن يحسن بنا أن نردد شكاوي وصلوات القديسين الذين كانوا قبلنا والتي رفعوها في ظروف مماثلة لكي نتعزى وسط متاعبنا.

وفيما يلي صلاة يونان وبعد كل عبارة منها الاقتباس وموضعه.

- " دَعَوْتُ مِنْ ضِيقِي الرَّبَّ، فَاسْتَجَابَنِي" (ع ٢)
"١إِلَى الرَّبِّ فِي ضِيْقِي صَرَخْتُ فَاسْتَجَابَ لِي" (مز ١٢٠: ١)
- "٣لأَنَّكَ طَرَحْتَنِي فِي الْعُمْقِ فِي قَلْبِ الْبِحَارِ" (ع ٣)
"٦وَضَعْتَنِي فِي الْجُبِّ الأَسْفَلِ، فِي ظُلُمَاتٍ، فِي أَعْمَاق" (مز ٨٨: ٦)

- " جَازَتْ فَوْقِي جَمِيعُ تَيَّارَاتِكَ وَلُجَجِكَ" (ع ٣)
" كُلُّ تَيَّارَاتِكَ وَلُجَجِكَ طَمَتْ عَلَيَّ" (أو جازت عليّ) (مز ٤٢: ٧)
- "٤فَقُلْتُ: قَدْ طُرِدْتُ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيْكَ" (ع ٤)
"٢٢وَأَنَا قُلْتُ فِي حَيْرَتِي: «إِنِّي قَدِ انْقَطَعْتُ مِنْ قُدَّامِ عَيْنَيْكَ»" (مز ٣١: ٢٢)
- "٥قَدِ اكْتَنَفَتْنِي مِيَاهٌ إِلَى النَّفْسِ" (ع ٥)
" لأَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ دَخَلَتْ إِلَى نَفْسِي" (مز ٦٩: ١)
- " أَصْعَدْتَ مِنَ الْوَهْدَةِ حَيَاتِي" (ع ٦)
"٣يَا رَبُّ، أَصْعَدْتَ مِنَ الْهَاوِيَةِ نَفْسِي. أَحْيَيْتَنِي مِنْ بَيْنِ الْهَابِطِينَ فِي الْجُبِّ" (مز ٣٠: ٣)
- "٧حِينَ أَعْيَتْ فِيَّ نَفْسِي ذَكَرْتُ الرَّبَّ، فَجَاءَتْ إِلَيْكَ صَلاَتِي إِلَى هَيْكَلِ قُدْسِكَ" (ع ٧)

"٦فِي ضِيقِي دَعَوْتُ الرَّبَّ، وَإِلَى إِلهِي صَرَخْتُ، فَسَمِعَ مِنْ هَيْكَلِهِ صَوْتِي، وَصُرَاخِي قُدَّامَهُ دَخَلَ أُذُنَيْهِ" (مز ١٨: ٦)

- "٨اَلَّذِينَ يُرَاعُونَ أَبَاطِيلَ كَاذِبَةً يَتْرُكُونَ نِعْمَتَهُمْ" (ع ٨)
"٦أَبْغَضْتُ الَّذِينَ يُرَاعُونَ أَبَاطِيلَ كَاذِبَةً" (مز ٣١: ٦)
- " لِلرَّبِّ الْخَلاَصُ" (ع ٩)
"٨لِلرَّبِّ الْخَلاَصُ" (مز ٣: ٨)

الإصحاح الثالث

في هذا الأصحاح نجد:

١ – تجديد إرسالية يونان ليكرز في نينوى ع ١، ٢

٢ – تجديد يونان نينوى بانقلابها ع ٣، ٤

٣ – توبة أهل نينوى وتذللهم ع ٥ – ٩

٤ – رجوع الله برحمته عن حكمه بإهلاك نينوى ع ١٠

أولاً: تجديد إرسالية يونان ليكرز في نينوى:

"١ثُمَّ صَارَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى يُونَانَ ثَانِيَةً قَائِلاً: ٢«قُمِ اذْهَبْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ، وَنَادِ لَهَا الْمُنَادَاةَ الَّتِي أَنَا مُكَلِّمُكَ بِهَا»" (يونان ٣: ١، ٢)

لقد سبق أن هرب يونان من توصيل رسالة الرب إلى أهل نينوى فألقى القبض عليه بواسطة الحوت، وبعد خضوعه وصلاته أخرجه الرب من سجنه. لقد نجا من الموت الذي كان مهدداً به وعاد إلى أرض الأحياء التي كان يبدو أنه قطع منها. "١ثُمَّ صَارَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى يُونَانَ ثَانِيَةً قَائِلاً: ٢«قُمِ اذْهَبْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ، وَنَادِ لَهَا الْمُنَادَاةَ الَّتِي أَنَا مُكَلِّمُكَ بِهَا»" (ع ١، ٢) أي المناداة التي سوف يمليها عليه. في المرة الأولى طلب الرب من يونان الذهاب إلى نينوى لينادي ضدها دون أن يخبره بتفاصيل الرسالة التي يقولها لأهلها، ولكن في هذه المرة طلب منه الذهاب إلى نينوى لينادي لها

بالرسالة التي سوف يكلمه بها عندما يذهب إلى هناك. يونان كان يعرف إلى أين يذهب ولكنه لم يكن يعرف الرسالة التي سوف يبلغها. كان عليه أن يذهب أولاً وعندما يصل إلى هناك سيكون الرب معه ويعطيه الرسالة التي ينبغي أن يبلغها. وهذا يشبه ما حدث مع أرميا النبي إذ قال له الرب " قُمِ انْزِلْ إِلَى بَيْتِ الْفَخَّارِيِّ وَهُنَاكَ أُسْمِعُكَ كَلاَمِي" (إر ١٨: ٢). وعندما نزل أرميا إلى بيت الفخاري كما أمره الرب صار إليه كلام الرب. ونحن عندما نطيع الرب ونذهب إلى المكان الذي يأمرنا بالذهاب إليه فإنه هناك يسمعنا الرب صوته. ونلاحظ أن الله يختار الخادم الذي يرسله، ويختار له المكان الذي يرسله إليه، كما يختار له الرسالة التي يتكلم بها، والخادم لا يجب أن يقول للناس إلا ما يأمره الرب به.

كان مطلوباً من يونان أن يصرخ وينادي لأهل نينوى بصوت مرتفع ليبلغهم برسالة القضاء التي أعطاها له الرب. الخادم يجب أن يتوفر فيه الحماس والاهتمام لأنه يقوم بتوصيل رسالة خطيرة إلى نفوس خالدة على وشك الهلاك بسبب الخطية وهم غافلون عن هذا الهلاك، والواعظ الذي ينقصه الحماس لا يستطيع أن يوقظ النفوس الغافلة، ومن النادر أن يقبل الناس الحقائق التي نعلنها لهم إذا كانت طريقتنا في إعلان هذه الحقائق توحي بعدم أهميتها. ولكن الحماس والاهتمام يختلفان عن الصراخ والضوضاء اللذين يظهر فيهما الانفعال والتشنج أكثر مما يظهر فيهما تأثير الروح القدس. ويسأل البعض لماذا وهب الرب يونان فرصة ثانية للذهاب إلى نينوى بدل الفرصة التي ضيعها وقد كان يمكن أن يستغنى عنه ويرسل شخصاً آخر غيره. الجواب هو لأن الرب الطيب لم يشأ أن يضيع الأجرة على يونان، لأنه يحب يونان. لقد سبق

أن قرر يونان إنهاء حياته وإنهاء خدمته عندما طلب من البحارة أن يطرحوه في البحر لكن الرب في رحمته لم يرض ليونان أن تنتهي حياته وهو في حالة العصيان، ولا أن تنتهي خدمته بالموت في البحر وهو مهان، فأعد الرب حوتاً ليبتلعه لكي يحفظ حياته، ويرد نفسه، ويعيده إلى خدمته. كان يكفي أن الله صفح عن يونان وأنقذ حياته، لكن الله في نعمته أعاد تكليفه بالخدمة، كما رد داود النبأ بعد سقوطه ليعلم الأثمة طرقه "١٢رُدَّ لِي بَهْجَةَ خَلاَصِكَ، وَبِرُوحٍ مُنْتَدِبَةٍ اعْضُدْنِي. ١٣فَأُعَلِّمَ الأَثَمَةَ طُرُقَكَ، وَالْخُطَاةُ إِلَيْكَ يَرْجِعُونَ" (مز ٥١: ١٢، ١٣) وكما رد بطرس بعد إنكاره وقال له " وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ" (لو ٢٢: ٣٢) لقد أنكر بطرس الرب ثلاث مرات ولعن وحلف أنه لا يعرف المسيح، ولكن المسيح أعطاه فرصة ثانية، وأعاد تكليفه ثلاث مرات قائلاً "أَتُحِبُّنِي ...ارْعَ غَنَمِي" (يو ٢١: ١٧). وأمامنا سؤال آخر، وهو، لماذا صار قول الرب إلى يونان ثانية بأن يذهب إلى نينوى بعد خروجه من بطن الحوت؟ ألم تكن الدعوة الأولى كافية؟ والجواب هو لأن يونان ربما كان محتاجاً إلى تشجيع فصار إليه صوت الرب ثانية أن يذهب إلى نينوى ولكن الأرجح أن الرب قصد من إعادة الدعوة ليونان أن يعلن له عن إصراره على توصيل الإنذار إلى أهل نينوى.

ثانياً: إبلاغ يونان نينوى بانقلابها:

"٣فَقَامَ يُونَانُ وَذَهَبَ إِلَى نِينَوَى بِحَسَبِ قَوْلِ الرَّبِّ. أَمَّا نِينَوَى فَكَانَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً ِللهِ مَسِيرَةَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ. ٤فَابْتَدَأَ يُونَانُ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَنَادَى وَقَالَ: «بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا تَنْقَلِبُ نِينَوَى»" (ع ٣، ٤).

فور إعادة الرب الدعوة ليونان "٣فَقَامَ يُونَانُ وَذَهَبَ إِلَى نِينَوَى" (ع ٣). في هذه المرة لم يعاند يونان ولم يهرب كما فعل في المرة السابقة، ولم يتراخ أو يتكاسل رغم بعد المسافة ورغم خطورة الرسالة على حياته. لقد تعلم الدرس فقام وذهب إلى نينوى "بحسب قول الرب" أي إطاعة لقول الرب. ". أَمَّا نِينَوَى فَكَانَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً ِللهِ" (هذا التعبير ورد أربع مرات ص ١: ٢، ٣:٢، ٣: ٣، ٤: ١١) أي عظيمة جداً جداً، فعندما يراد تعظيم شيء ينسب لله العظيم. وأول من بنى نينوى هو أشور "١١مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ خَرَجَ أَشُّورُ وَبَنَى نِينَوَى وَرَحُوبُوتَ عَيْرَ وَكَالَحَ" (تك ١٠: ١١) ولكن بعد ذلك أتى ملوك عديدون وسعوا المدينة وبنوا بها كثيراً من المباني العظيمة، وبنوا سوراً عظيماً حولها، فأصبحت أعظم من مدينة بابل، بل صارت أعظم مدينة في العالم، وكانت "مسيرة ثلاثة أيام" أي أن يونان لم يكن يكفيه أقل من ثلاثة أيام لكي يجتاز شوارع المدينة الرئيسية ليذيع رسالته، لأن نينوى كانت متسعة جداً إذ كان طولها عشرين ميلاً وعرضها عشرة أميال.

وحالما وصل يونان إلى نينوى بدأ يذيع رسالته في الحال. لم يلجأ إلى فندق ليستريح من عناء السفر بل بدأ خدمته فوراً "٤فَابْتَدَأَ يُونَانُ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَاحِدٍ" (ع ٤) لعله دخل المدينة من أحد الأبواب من الناحية الغربية وقضى فيها يوماً واحداً وخرج من باب آخر في الناحية الشرقية، وأثناء سيره بالمدينة كان ينادي بالرسالة التي أعطاها له الرب وهي " بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا تَنْقَلِبُ نِينَوَى" لقد حصل يونان على إرشاد واضح من الرب ليعلن الغضب الإلهي على نينوى بعد مدة أربعين يوماً. ومن المرجح أن يونان توسع في شرح رسالته لأهل نينوى وأخبرهم أن شرهم قد أغاظ الله الإله

الحقيقي وحده، وأنه سيوقع عقابه عليهم بقلب مدينتهم بعد أربعين يوماً. ومن المرجح أيضا أن يونان أخبرهم بقصة دعوة الله له لإنذارهم، وقصة هروبه، وما حدث للسفينة، وكيف طرحه البحارة في البحر، وبأن الله أعد حوتاً ابتلعه، وأنه قاسى لمدة ثلاثة أيام في جوف الحوت، وأن الله حفظ حياته من الموت في جوف الحوت بمعجزة، وأنه إذ تاب عن عصيانه وهروبه صفح الرب عنه وأمر الحوت فقذفه إلى البر، وأن الله أعاد تكليفه بالذهاب إلى نينوى.

ويسأل البعض بأية لغة خاطب يونان أهل نينوى؟ عندما أرسل سنحاريب ملك أشور ربشاقي بجيش عظيم ليهدد حزقيا ملك يهوذا، تكلم ربشاقي مع الياقيم بن حلقيا الذي على البيت وشبنة الكاتب ويوآخ بن آساف المسجل باللغة اليهودية أي العبرية، فقالوا له "١١فَقَالَ أَلِيَاقِيمُ وَشَبْنَةُ وَيُوآخُ لِرَبْشَاقَى: «كَلِّمْ عَبِيدَكَ بِالأَرَامِيِّ لأَنَّنَا نَفْهَمُهُ، وَلاَ تُكَلِّمْنَا بِالْيَهُودِيِّ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ الَّذِينَ عَلَى السُّورِ" (إش ٣٦: ١١) ويفهم من هذا أن الأشوريين كانوا يتكلمون باللغة الأرامية ولكن ربشاقي تكلم إلى عبيد حزقيا وإلى الشعب باللغة اليهودية فقد كان يعرفها، كما أن أليا‌قيم الذي على البيت وشبنة الكاتب ويوآخ المسجل كانوا يعرفون اللغة الآرامية بجانب لغتهم العبرية. ومن الأرجح أن يونان كان يعرف لغة أهل نينوى وهي اللغة الآرامية فخاطبهم بها، والدليل على ذلك أن سفر يونان يحوي بعض الكلمات الآرامية. ومن المحتمل أن يونان خاطبهم بلغته العبرية وكانوا يعرفونها أو كان بعضهم يعرفها وقاموا بنقل معنى رسالته إلى غيرهم.

ثالثاً – توبة أهل نينوى وتذللهم:

"٥فَآمَنَ أَهْلُ نِينَوَى بِاللهِ وَنَادَوْا بِصَوْمٍ وَلَبِسُوا مُسُوحًا مِنْ كَبِيرِهِمْ إِلَى صَغِيرِهِمْ. ٦وَبَلَغَ الأَمْرُ مَلِكَ نِينَوَى، فَقَامَ عَنْ كُرْسِيِّهِ وَخَلَعَ رِدَاءَهُ عَنْهُ، وَتَغَطَّى بِمِسْحٍ وَجَلَسَ عَلَى الرَّمَادِ. ٧وَنُودِيَ وَقِيلَ فِي نِينَوَى عَنْ أَمْرِ الْمَلِكِ وَعُظَمَائِهِ قَائِلاً: «لاَ تَذُقِ النَّاسُ وَلاَ الْبَهَائِمُ وَلاَ الْبَقَرُ وَلاَ الْغَنَمُ شَيْئًا. لاَ تَرْعَ وَلاَ تَشْرَبْ مَاءً. ٨وَلْيَتَغَطَّ بِمُسُوحٍ النَّاسُ وَالْبَهَائِمُ، وَيَصْرُخُوا إِلَى اللهِ بِشِدَّةٍ، وَيَرْجِعُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيئَةِ وَعَنِ الظُّلْمِ الَّذِي فِي أَيْدِيهِمْ، ٩لَعَلَّ اللهَ يَعُودُ وَيَنْدَمُ وَيَرْجِعُ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِهِ فَلاَ نَهْلِكَ" (ع ٥ – ٩).

بعد أن نادى يونان لأهل نينوى بانقلاب المدينة، وبعد أن أخبرهم بقصة دعوة الرب له لإنذارهم، ثم شروعه في الهروب وتأديب الرب له بواسطة الحوت، ثم إخراجه حياً بمعجزة من جوف الحوت، يذكر يونان أن أهل نينوى "٥فَآمَنَ أَهْلُ نِينَوَى بِاللهِ وَنَادَوْا بِصَوْمٍ وَلَبِسُوا مُسُوحًا" (ع ٥) وحسب تعبير الرب يسوع " تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ" (مت ١٢: ٤١) ولندرس الآن كيف آمنوا بالله وكيف تابوا. لقد كان الله عاملاً في قلوب أهل نينوى ليصدقوا معجزة إنقاذ يونان من الموت وإخراجه حياً من جوف الحوت، وقد استخدم الله هذه المعجزة في قيادتهم إلى الإيمان به مثلما حدث مع البحارة إذ آمنوا بالرب إله السماء الذي صنع البر والبحر بعدما أخبرهم يونان عنه، وبعدما رأوا بأنفسهم سلطانه في إرسال العاصفة وفي تهدئة البحر. لم يصنع يونان أمام أهل نينوى معجزة واحدة تؤيد كلامه عن الله، وتؤيد الرسالة التي حملها إليهم، لكن يونان نفسه كان المعجزة، كما قال الرب يسوع " كَانَ يُونَانُ آيَةً لأَهْلِ نِينَوَى" (لو ١١: ٣٠) لقد رأوا فيه صورة

مجسمة للمعجزة التي عملها الله إذ أنقذه من الموت وأخرجه حياً من جوف الحوت بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال. كانت معجزة يونان سبباً في إيمانهم بالله وبصدق الرسالة التي أبلغهم بها "٥فَآمَنَ أَهْلُ نِينَوَى بِاللهِ" (يونان ٣: ٥) أي آمنوا أنه الإله الحقيقي الوحيد، وآمنوا أن الكلام الذي قاله يونان هو كلام الله، وصدقوا أن التهديد لابد أن يتم.

كما رأوا في هذه المعجزة أيضاً عدالة الله وغضبه على يونان العاصي، ورأوا رحمته على يونان التائب، وهذا أعطى لهم رجاء في اللجوء إلى رحمة الله. كما تأثروا من اهتمام الله بهم وإصراره على تحذيرهم إذ قبض على يونان الهارب وأخضع إرادته وأنقذ حياته وأعاد تكليفه بتحذيرهم. ففهموا أيضاً أن مهلة الأربعين يوماً دليل على مراحم الله، لأن الله لو كان قاسياً لأهلكهم منذ زمان بسبب شرهم دون انتظار أو إنذار. ونلاحظ أن الرسالة التي أعطاها الله ليونان ليبلغها إلى أهل نينوى كانت رسالة غضب وتهديد بالهلاك، ولم تكن تتضمن أية دعوة للتوبة أو أي وعد بالرحمة. ربما لأن يونان لم يكن مستعداً أن يدعوهم إلى التوبة إذ لم يكن راغباً في حصولهم على رحمة الله بدليل أنه اغتم واغتاظ عندما تابوا ورجعوا إلى الله وتمتعوا برحمته "١فَغَمَّ ذلِكَ يُونَانَ غَمًّا شَدِيدًا، فَاغْتَاظَ" (ص٤: ١). وربما قصد الله أن يقدم لهم رسالة الغضب فقط لكي تهزهم الرسالة بعنف وتوقظ ضمائرهم الغافلة. ومع أن يونان أبلغهم رسالة الغضب فقط ولم يناد لهم بالتوبة إلا أن مناداة يونان لهم كانت تؤدي إلى التوبة، لأن تحديد يوم لحلول العقاب ساعد على إقناعهم بصدق الرسالة وجديتها، وبأنها آتية من الله، لأنه لم يكن ممكناً لأي إنسان أن يجرؤ على تحديد وقت بهذه الدقة

يحدث فيه الدمار. ولذلك فكر أهل نينوى في التوبة عن شرهم الذي أغضب الله عليهم. وقد فعلوا ذلك أملاً في أن يرجع الله عن حمو غضبه ويشملهم برحمته. وهذا كان القصد من إنذار الله لهم. لقد أعطى الله لهم مهلة قبل تنفيذ القصاص ليرى إن كانوا يذللون أنفسهم ويصلحون طرقهم أم لا. الله بطيء الغضب وكثير الرحمة ولذلك أعطاهم مهلة للتوبة. وكانت فترة الأربعين يوماً فترة كافية للتفكير والتأمل والتوبة والرجوع بعد الفزع الذي لابد أن يكون الإنذار قد سببه لهم.

" وَنَادَوْا بِصَوْمٍ" (ع ٥) والصوم إعلان عن التذلل وانكسار النفس " وَلَبِسُوا مُسُوحًا مِنْ كَبِيرِهِمْ إِلَى صَغِيرِهِمْ" (ع ٥) والمسوح قماش خشن غليظ منسوج من شعر الماعز أو وبر الجمال، وكان لبسه علامة الحزن والإتضاع عند اليهود وعند الأمم أيضاَ. فعندما أحضر أخوة يوسف قميصه مغموساً في الدم إلى أبيهم يعقوب الذي ظن أن ابنه قد أُفترس "٣٤فَمَزَّقَ يَعْقُوبُ ثِيَابَهُ، وَوَضَعَ مِسْحًا عَلَى حَقَوَيْهِ، وَنَاحَ عَلَى ابْنِهِ أَيَّامًا كَثِيرَةً" (تك ٣٧: ٣٤). وآخاب ملك إسرائيل عندما سمع رسالة القضاء عليه وعلى زوجته إيزابل "٢٧وَلَمَّا سَمِعَ أَخْآبُ هذَا الْكَلاَمَ، شَقَّ ثِيَابَهُ وَجَعَلَ مِسْحًا عَلَى جَسَدِهِ، وَصَامَ وَاضْطَجَعَ بِالْمِسْحِ وَمَشَى بِسُكُوتٍ. ٢٨فَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى إِيلِيَّا التِّشْبِيِّ قَائِلاً: ٢٩«هَلْ رَأَيْتَ كَيْفَ اتَّضَعَ أَخْآبُ أَمَامِي" (١مل ٢١: ٢٧ – ٢٩).

"٦وَبَلَغَ الأَمْرُ مَلِكَ نِينَوَى" (ع ٦) ويرجح أنه الملك "فول" ملك آشور الذي كان معاصراً للملك يوآش ملك يهوذا، ويظن البعض أن المقصود هو ابنه "ساردانابالوس" الذي كان معاصراً للملك يربعام الثاني ملك يهوذا ابن يوآش. ونلاحظ أن

أهل نينوى صاموا وتذللوا قبل أن يصدر الملك أمره بالصوم. إذ هذا الصوم ليس صوماً رسمياً بموجب مرسوم من الملك. الصوم الحقيقي عمل إلهي في القلب. إن الذين لا يريدون أن يهلكوا يجب أن يتذللوا، وعندما يهددنا غضب الله يجب أن نتواضع تحت يد الله القوية "لأن اللهَ يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً" (١بط ٥: ٥). لم يتلق يونان أمراً من الرب بالذهاب إلى الملك أولاً، لأن الملوك الأشرار هم في مستوى واحد مع الأشخاص العاديين، لذلك أرسل الرب يونان إلى شوارع نينوى، ولعل يونان مر وهو في طريقه أمام قصر الملك ونادى برسالته كما فعل في الأماكن الأخرى، فسمع بعض الأشخاص الذين يهمهم الخير العام الذين ارتعدت قلوبهم من رسالة يونان، فابلغوا الأمر للملك، لا باعتبار أن ما عمله يونان كان جريمة أو إزعاجا للناس، بل باعتبار أن يونان أتى برسالة من السماء، وأن هناك خطراً يهدد المدينة كلها. " فَقَامَ عَنْ كُرْسِيِّهِ (أي عرشه) وَخَلَعَ رِدَاءَهُ عَنْهُ" (ع ٦) ورداؤه هو علامة عظمته الملكية، ولبس ثوب التوبة " وَتَغَطَّى بِمِسْحٍ وَجَلَسَ عَلَى الرَّمَادِ" (ع ٦) علامة على اتضاعه. لم يعتبر أنه أرفع من أن يظهر بمظهر التذلل. لقد سمع الرسالة بأذنه وقلبه وآمن فظهرت فيه ثمار الإيمان العامل من حزن وإتضاع وانكسار وتوبة. كان يشعر شعوراً عميقاً بشناعة خطيته وخطية شعبه، وكان لديه إحساس شديد بالخطر الذي كان يتهددهم بسبب الخطية. وكانت خطيتهم القسوة والظلم والكبرياء والنجاسة، إذ كانت عبادتهم الوثنية مرتبطة بالزنا والخلاعة.

وشعر الملك أيضاً بضرورة تحذير الشعب كله، فأسرع بالتشاور مع عظمائه، ثم أصدر أمراً بصوم عام "٧وَنُودِيَ وَقِيلَ

فِي نِينَوَى عَنْ أَمْرِ الْمَلِكِ وَعُظَمَائِهِ قَائِلاً: «لاَ تَذُقِ النَّاسُ وَلاَ الْبَهَائِمُ وَلاَ الْبَقَرُ وَلاَ الْغَنَمُ شَيْئًا. لاَ تَرْعَ وَلاَ تَشْرَبْ مَاءً. ٨وَلْيَتَغَطَّ بِمُسُوحٍ النَّاسُ وَالْبَهَائِمُ، وَيَصْرُخُوا إِلَى اللهِ بِشِدَّةٍ، وَيَرْجِعُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيئَةِ وَعَنِ الظُّلْمِ الَّذِي فِي أَيْدِيهِمْ" (ع ٧، ٨). وأسرع رجال الملك يبلغون المدينة كلها حتى سمع كل الناس بنداء يونان. طلب الملك أن يصوم الجميع. نادى بصوم عام لمنعه هلاك عام. لم يمتنع شخص واحد عن الصوم بحجة أن الصوم يتلف الصحة، أو أنه هو لا يحتمل الصوم، بل الجميع صاموا وتذللوا. لم يحدث من قبل صوم عام وعميق ومؤثر مثلما حدث في نينوى، فقد شمل الرجال والنساء، الكبار والصغار، العظماء والأدنياء.

وكان ينبغي أن يحفظ الصوم بدقة فلا بذوق الناس أقل شيء من الطعام بل ولا يشربون ماء، وحتى البهائم كان يجب أن لا تأكل أو تشرب كالمعتاد، لأن البهائم كانت ستهلك مع الناس لو حدث زلزال وانقلبت نينوى. لقد احتمل الحيوان التعب نتيجة سقوط الإنسان فأصبح يحمل الأثقال ويجر المحراث وها هو يحتمل مع الإنسان الصوم بسبب خطية الإنسان لأن آدم رأس الخليقة عندما سقط أصبحت الخليقة كلها تئن وتتمخض. وربما ظن أهل نينوى أن منع الطعام أو الماء عن الحيوان يجعل الحيوان يئن كأنه يصرخ إلى الله طالباً الرحمة. كما أمر الملك قائلاً "٨وَلْيَتَغَطَّ بِمُسُوحٍ النَّاسُ وَالْبَهَائِمُ" (ع ٨) تعبيراً عن حزنهم الشديد، فعندما يحزن الناس يضعون مسوحاً على البهائم عوضاً عن الزينات، كما نرى القماش الأسود على الخيول التي تجر عربة الأموات. كان يجب أن تختفي مظاهر الفرح والزينات وأن يظهر الناس والبهائم الحزن والتذلل أمام الله.

كما نادى الملك أن يقرنوا صومهم وحزنهم بالصلاة والصراخ إلى الله بشدة " وَيَصْرُخُوا إِلَى اللهِ بِشِدَّةٍ" (ع ٨) أي بكل الجدية والندم وعزم القلب وبعواطف ملتهبة لطلب غفران الخطايا التي تصرخ ضدهم أمام الله. عندما نصرخ بشدة فإننا نجاهد مع الله ونتمسك به. وعندما نصلي يجب أن يتحرك كل ما بداخلنا لطلب رحمة الله. كما أمر الملك بأن يقرنوا صومهم وصلاتهم بإصلاح حياتهم " وَيَرْجِعُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيئَةِ وَعَنِ الظُّلْمِ الَّذِي فِي أَيْدِيهِمْ" (ع ٨) أي أن كل واحد منهم يجب أن يحكم على ذاته. ينبغي أن يردوا مما اغتصبوه ويعوضوا الظلم الذي ارتكبوه. لا يكفي أن نصوم من أجل الخطية بل أن نصوم أيضاً عن الخطية ونرجع عنها، فالصوم الحقيقي يجب أن يقترن بالتوبة وترك الخطية والتذلل والتفرغ للصلاة والصراخ إلى الله. كما يجب أن يقترن بالرحمة والإحسان للآخرين عوضاً عن ظلمهم، وهذا هو الصوم الذي يختاره الله ويقبله (إش٥٨: ٣ – ٧، زك٧: ٥ – ١٠). إن مظاهر الحزن من لبس المسوح والجلوس على الرماد لم تكن تعني شيئاً أمام الله ما لم تكن مصحوبة بحزن قلبي وتوبة حقيقية.

وكان الباعث للمناداة بهذا الصوم رجاءهم أن يعود الله ويندم عن حمو غضبه فلا يهلكهم. كانوا يتوسلون إلى الله أن يغير طريقه نحوهم ويرجع عن عقابه الذي أعلنه لهم. كانوا معترفين باستحقاقهم لغضبه ولجأوا إلى رحمته ليرفع غضبه عنهم "٩لَعَلَّ اللهَ يَعُودُ وَيَنْدَمُ وَيَرْجِعُ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِهِ فَلاَ نَهْلِكَ" (ع ٩). كانت توبتهم داخلية من القلب، وكان إيمانهم حقيقياً. كان الإيمان المثمر الذي ينشيء تغييراً في الحياة. لم يكن إيمانهم تصديق العقل فقط بل كانت أعمالهم برهاناً على

إيمانهم، فالإيمان بدون أعمال ميت. لقد صنعوا ثماراً تليق بالتوبة.

رابعاً – رجوع الله برحمته عن حكمه بإهلاك نينوى:

"١٠فَلَمَّا رَأَى اللهُ أَعْمَالَهُمْ أَنَّهُمْ رَجَعُوا عَنْ طَرِيقِهِمِ الرَّدِيئَةِ، نَدِمَ اللهُ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي تَكَلَّمَ أَنْ يَصْنَعَهُ بِهِمْ، فَلَمْ يَصْنَعْهُ" (ع ١٠).

الله لم يسمع فقط كلماتهم واعترافهم بل أيضاً "١٠فَلَمَّا رَأَى اللهُ أَعْمَالَهُمْ أَنَّهُمْ رَجَعُوا عَنْ طَرِيقِهِمِ الرَّدِيئَةِ" (ع ١٠) رأى اقتناعهم بخطاياهم كما رأى أيضاً أنهم تركوها ولم يعودوا يعملونها. لذلك " نَدِمَ اللهُ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي تَكَلَّمَ أَنْ يَصْنَعَهُ بِهِمْ، فَلَمْ يَصْنَعْهُ" (ع ١٠) " نَدِمَ اللهُ" كلمات بشرية تعني أن الله غير معاملاته معهم عندما غيروا طرقهم وقدموا توبتهم وانكسارهم. ولقد اعتبر الله توبتهم وانكسار قلوبهم ذبائح مقدمة له فقبلها ولم يحتقرها لأن ذبائح الله هي روح منكسرة. "الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اَللهُ لاَ تَحْتَقِرُهُ" (مز ٥١: ١٧) ولابد أن أهل نينوى قدموا ذبائح للرب للتكفير عن خطاياهم كما قدم البحارة ذبيحة للرب على ظهر السفينة. لقد رحم الله أهل نينوى اتماماً لوعده في سفر إشعياء " ًإِلَى هذَا أَنْظُرُ: إِلَى الْمِسْكِينِ وَالْمُنْسَحِقِ الرُّوحِ وَالْمُرْتَعِدِ مِنْ كَلاَمِي" (إش ٦٦: ٢) كما أن هذا ما قاله الرب على فم أرميا النبي "٧تَارَةً أَتَكَلَّمُ عَلَى أُمَّةٍ وَعَلَى مَمْلَكَةٍ بِالْقَلْعِ وَالْهَدْمِ وَالإِهْلاَكِ، ٨فَتَرْجِعُ تِلْكَ الأُمَّةُ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَلَيْهَا عَنْ شَرِّهَا، فَأَنْدَمُ عَنِ الشَّرِّ الَّذِي قَصَدْتُ أَنْ أَصْنَعَهُ بِهَا" (ار ١٨: ٧، ٨) وهذا يدل على أن وعود الله وتهديداته مشروطة وتتوقف على سلوك الإنسان.

قال الرب يسوع المسيح عن أهل نينوى الذين تابوا "٤١رِجَالُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ مَعَ هذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ، لأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ" (مت ١٢: ٤١، لو ١١: ٣٢) وقد اختلف المفسرون بخصوص أهل نينوى الذين تابوا بمناداة يونان:

أ – بعض المفسرين قالوا أن أهل نينوى نجوا من العقاب الزمني فقط والمراد بقيامهم في الدين مع ذلك الجيل وقوفهم شهادة على أهل ذلك الجيل وليس قيامهم من الأموات فهم يحسبون كشهود على قساوة قلوب اليهود الذين سمعوا المسيح ولم يتوبوا، وسوف يدينونهم لا بالكلام بل بما عملوه إذ تابوا بمناداة يونان. ويقول هؤلاء المفسرون أيضاً أن أهل نينوى آمنوا بالله باعتبار ما قيل لهم عن خراب مدينتهم وكانت توبتهم توبة حقيقية على نوع ما، غير أننا لا نقدر أن نحسبها التوبة التي للحياة "١٨فَلَمَّا سَمِعُوا ذلِكَ سَكَتُوا، وَكَانُوا يُمَجِّدُونَ اللهَ قَائِلِينَ:«إِذًا أَعْطَى اللهُ الأُمَمَ أَيْضًا التَّوْبَةَ لِلْحَيَاةِ!»(أع ١١: ١٨) ويستشهدون بما عمله آخاب في (١مل ٢١: ٢٧ – ٢٩) "٢٧وَلَمَّا سَمِعَ أَخْآبُ هذَا الْكَلاَمَ، شَقَّ ثِيَابَهُ وَجَعَلَ مِسْحًا عَلَى جَسَدِهِ، وَصَامَ وَاضْطَجَعَ بِالْمِسْحِ وَمَشَى بِسُكُوتٍ. ٢٨فَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى إِيلِيَّا التِّشْبِيِّ قَائِلاً: ٢٩«هَلْ رَأَيْتَ كَيْفَ اتَّضَعَ أَخْآبُ أَمَامِي" فقد حزن ولبس مسحاً واتضع أمام الله كما شرحنا سابقاً ولكنه استمر في الشر بعد ذلك. وقول ملك نينوى "فلا نهلك" تعني "فلا نباد" بانقلاب المدينة فرجع الله عما كان قد تهددهم به ولم يخرب مدينتهم في ذلك الوقت، فكانت معاملة الله معهم باعتبار سياسته لهذا العالم لا باعتبار خلاص نفوسهم من الهلاك الأبدي.

ب – ومفسرون آخرون قالوا أن أهل نينوى عندما تابوا وآمنوا خلصوا من العقاب الزمني ومن الدينونة الأبدية أيضاً لأن المسيح يقول أنهم سيدينون جيل اليهود الذين لم يتوبوا ولم يؤمنوا بكلام المسيح رغم أنه أعظم من يونان، والرسول بولس يقول "٢أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْقِدِّيسِينَ سَيَدِينُونَ الْعَالَمَ" (١كو ٦: ٢) فالمؤمنون سيدينون العالم وسيكون من ضمن المؤمنين أهل نينوى الذين آمنوا بالله وتابوا بمناداة يونان. إنهم سوف يدينون الجيل الذي عاش فيه المسيح ويقولون لهم: لقد نادى لكم الرب يسوع المسيح وهو أعظم من يونان ولم تتوبوا أما نحن فتبنا بمناداة يونان. ،أنني أرجح الرأي الثاني وهو أنهم خلصوا من العقاب الزمني والأبدي أيضاً للأسباب الآتية:

١ – إصرار الله على توصيل الإنذار إليهم وشفقته الكثيرة عليهم التي عبر عنها في آخر السفر بطريقة مؤثرة للغاية يدل على أن الله لم يقصد خلاص أجسادهم من الموت فقط بل وخلاص أرواحهم من الهلاك الأبدي أيضا.

٢ – كان الله عاملاً في الكلمة التي أثرت في قلوبهم كل التأثير وأنتجت الإيمان العامل المثمر، وماذا كان يمنع الله من قبولهم وغفران خطاياهم وهم قد آمنوا به وتابوا وتذللوا ورجعوا إليه بقلوبهم.

٣ – رجوع الشعب كله من العظيم إلى الحقير ومن الكبير إلى الصغير يدل على أن هذا عمل إلهي وأن الله كان يقصد خلاصهم جسدياً وروحياً. إن أصبع الله ظاهرة في هذا الأمر وقصد الله في أن يخلصهم ويرحمهم واضح، وهو يرحم من يرحم ويتراءف على من يتراءف.

وإلا لماذا اختار الله مدينة نينوى ليرسل إليها يونان؟ ولماذا لم يرسل يونان إلى باقي المدن الوثنية الأخرى رغم أنها مدن شريرة مثل نينوى؟ ولماذا أجبر الله يونان على الذهاب إلى نينوى بهد هروبه واستخدم في إجباره وسائط عديدة؟ لقد استخدم العاصفة والنوء الشديد ليضرب السفينة حتى كادت تتحطم، واستخدم البحارة ليوبخوا يونان، وعمل في القرعة ليرشد إلى يونان. حاول البحارة إنقاذ يونان وتوصيله سالماً إلى البر فلم يستطيعوا. لقد فهم البحارة بل تأكدوا أم مشيئة الله أن يطرح يونان في البحر، وهناك أعد الله حوتاً ليبتلعه ويضايقه حتى يخضع لإرادة الله ويذهب إلى نينوى، وحفظ الله حياة يونان من الموت في جوف الحوت. إن إرسال العاصفة كان معجزة، وحدوث النوء العظيم غير العادي كان معجزة، وإعداد حوت عظيم يطيع الأمر بابتلاع يونان دون أن يأكله بأسنانه ودون أن يهضمه بعصارات معدته ثم يطيع الأمر بقذفه إلى البر كان معجزة وحفظ يونان حياً كان معجزة، وتوبة رجوع أهل نينوى من الكبير إلى الصغير بالصورة العجيبة التي حدثت كان معجزة. لماذا صنع كل هذه المعجزات مع شعب أغاظه وأثار حمو غضبه واستحق الهلاك الفظيع؟ ألا يدل هذا على أن الله قصد أن يرحمهم زمنياً وأبدياً وعمل كل هذه المعجزات من أجلهم؟ لقد عمل الله في قلوبهم وضمائرهم بتبكيت روحه القدوس فحدثت نهضة لم يحدث مثلها في كل تاريخ العالم. أكثر من ستمائة ألف نسمة يتوبون مرة واحدة من الصغير إلى الكبير.

أننا أمام هذه النعمة المتفاضلة، والرحمة الوافرة، والمقاصد الإلهية الصالحة، والعمل الإلهي العجيب، والنهضة الروحية العظيمة، والنفوس الراجعة إلى الله بكل قلبها، لا نستطيع

أن نصمت بل نشكر الله ونمجد نعمته، ونبارك اسمه، ونهتف مع الرسول يوحنا قائلين: " لَهُ \الْمَجْدُ وَ\السُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ \الآبِدِينَ. آمِينَ" (رؤ ١: ٦). هللويا. هللويا.

الإصحاح الرابع

في هذا الإصحاح نجد:

١ – استياء يونان من رحمة الله على نينوى وتوبيخ الله الرقيق له ع ١ – ٤

٢ - استياء يونان من يبوسة اليقطينة وتبريره لنفسه إزاء هذا الاستياء ع ٥ – ٩

٣ – انتهاز الله هذه الفرصة لإقناعه بأنه لا يجب أن يستاء من إنقاذ نينوى ع ١٠، ١١

أولاً – استياء يونان من رحمة الله على نينوى وتوبيخ الله الرقيق له:

"١فَغَمَّ ذلِكَ يُونَانَ غَمًّا شَدِيدًا، فَاغْتَاظَ. ٢وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «آهِ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ هذَا كَلاَمِي إِذْ كُنْتُ بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ لِذلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ. ٣فَالآنَ يَا رَبُّ، خُذْ نَفْسِي مِنِّي، لأَنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي». ٤فَقَالَ الرَّبُّ: «هَلِ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ؟»" (ع ١ – ٤)

قبل أن نبدأ هذا الإصحاح تجدر الإشارة إلى أن العدد الخامس الذي يقول: "٥وَخَرَجَ يُونَانُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَجَلَسَ شَرْقِيَّ الْمَدِينَةِ، وَصَنَعَ لِنَفْسِهِ هُنَاكَ مَظَلَّةً وَجَلَسَ تَحْتَهَا فِي الظِّلِّ، حَتَّى يَرَى مَاذَا يَحْدُثُ فِي الْمَدِينَةِ"

يمكن أن يعتبر بداية لهذا الإصحاح فهو يشير إلى ما كان يونان قد فعله بعدما أبلغ رسالته إلى أهل نينوى إذ خرج من

المدينة وجلس شرقي المدينة. وهذا يشبه ما جاء في (ع ٥) من الإصحاح الأول إذ يقول: "وَأَمَّا يُونَانُ فَكَانَ قَدْ نَزَلَ إِلَى جَوْفِ السَّفِينَةِ وَاضْطَجَعَ وَنَامَ نَوْمًا ثَقِيلاً" (يونان ١: ٥) فهو يخبرنا عما كان يونان قد فعله قبل إرسال الرب الريح الشديدة. انتهى الإصحاح السابق بصدور عفو إلهي عن أهل نينوى وإلغاء الحكم بإهلاكهم وذلك لتوبتهم ورجوعهم عن طريقهم الرديئة، وهذا يدعو إلى الفرح والسرور، ولكن هذا الإصحاح يبدأ بأخبار محزنة عن عبد الرب يونان، لقد اغتم غماً شديداً واغتاظ (أي اشتعل قلبه بنار الغضب) بسبب رحمة الله على أهل نينوى. لم يكن يونان بسبب رحمة الله عموماً بل لأن هذه الرحمة شملت أهل نينوى الأمميين. وهناك نسأل لماذا رفض يونان الذهاب إلى نينوى منذ البداية؟ ولماذا سببت رحمة الله على أهل نينوى غماً عظيماً ليونان؟ إن المفسرين ذكروا عدة أسباب:

أولها أنه كانت هناك عداوة بين أشور وإسرائيل، ولكن بالرجوع إلى تواريخ الأحداث تبين أن أشور لم يكن عدواً لإسرائيل حتى ذلك الوقت، ولم يحدث أي اعتداء من جانب أشور على إسرائيل إلا بعد حوالي مائة سنة من ذهاب يونان إلى نينوى، ولذلك يجب استبعاد هذا السبب. وقد ذكر المفسرون سبباً لآخر نطرحه للمناقشة وهو أن يونان كان يخشى أن يحسب نبياً كاذباً إذا تابت نينوى ولم ينفذ الله تهديده لهم بقلب مدينتهم كما أنبأهم يونان، ورداً على هذا نقول أن الله عدل عن عقابهم لأنهم تابوا عن شرهم الذي كان سبباً في غضبه عليهم. لو أن الله رحمهم بدون توبة من جانبهم لكان هناك مجال لاتهام يونان بأنه نبي كاذب. أما وأنهم قد تابوا فليس هناك عاقل يستطيع في هذه الحالة أن

يوجه أي اتهام ليونان بأنه نبي كاذب، ولذلك يجب استبعاد هذا السبب أيضاً. بقى سبب واحد وأعتقد أنه السبب الوحيد والحقيقي وهو تعصب شعب إسرائيل لجنسهم وكراهيتهم للأمم، وهذا واضح في كل تاريخ إسرائيل وحتى في العهد الجديد، وهذا هو السبب الوحيد الذي ناقش الرب فيه يونان في هذا الإصحاح إذ قال له: " أَنْتَ شَفِقْتَ عَلَى الْيَقْطِينَةِ .... ١١أَفَلاَ أَشْفَقُ أَنَا عَلَى نِينَوَى" (يونان٤: ١٠، ١١). لو كان هناك سبب آخر من الأسباب السابق ذكرها لكان الرب قد ناقشه فيه وأفهمه خطأه. من هذا يتبين أن السبب الوحيد هو عدم إشفاق يونان على أهل نينوى لأنهم أمم وثنيون. كان ليونان الفكر اليهودي المتعصب الذي يعتبر أن الله هو إله اليهود فقط وأنهم هم شعبه دون سواهم وأن رحمة الله قاصرة عليهم وحدهم وأما غيرهم من الأمم فليس لهم نصيب في الله ولا حق في رحمته.

ولذلك كان قلب يونان خالياً من أي عطف على أهل نينوى، بل كان يتمنى لهم الهلاك. ويظهر هذا الفكر اليهودي في الإصحاح العاشر من سفر الأعمال فعندما أعطيت إشارة لبطرس بأن لا يميز بين اليهود والأمم في الرؤيا التي رأى فيها كل دواب الأرض وصار إليه صوت قم اذبح وكل، ذهل لهذا الأمر وقال " كَلاَّ يَارَبُّ! لأَنِّي لَمْ آكُلْ قَطُّ شَيْئًا دَنِسًا أَوْ نَجِسًا». ١٥فَصَارَ إِلَيْهِ أَيْضًا صَوْتٌ ثَانِيَةً:«مَا طَهَّرَهُ اللهُ لاَ تُدَنِّسْهُ أَنْتَ!»" (أع ١٠: ١٤، ١٥) وقد فهم بطرس بعد ذلك أن لا يقول عن إنسان ما أنه دنس أو نجس "أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ كَيْفَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَى رَجُل يَهُودِيّ أَنْ يَلْتَصِقَ بِأَحَدٍ أَجْنَبِيّ أَوْ يَأْتِيَ إِلَيْهِ. وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَرَانِي اللهُ أَنْ لاَ أَقُولَ عَنْ إِنْسَانٍ مَا إِنَّهُ دَنِسٌ أَوْ نَجِسٌ" (أع ١٠: ٢٨) ولذلك ذهب مع الرجال الذين أرسلهم

كرنيليوس (وهو أممي) إلى قيصرية. "٢وَلَمَّا صَعِدَ بُطْرُسُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، خَاصَمَهُ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْخِتَانِ، ٣قَائِلِينَ:«إِنَّكَ دَخَلْتَ إِلَى رِجَال ذَوِي غُلْفَةٍ وَأَكَلْتَ مَعَهُمْ». ٤فَابْتَدَأَ بُطْرُسُ يَشْرَحُ لَهُمْ ... ١٨فَلَمَّا سَمِعُوا ذلِكَ سَكَتُوا، وَكَانُوا يُمَجِّدُونَ اللهَ قَائِلِينَ:«إِذًا أَعْطَى اللهُ الأُمَمَ أَيْضًا التَّوْبَةَ لِلْحَيَاةِ!»" (أع ٢، ٣، ٤، ١٨).

وفي سفر الأعمال أيضاً نقرأ أن اليهود في أنطاكية بيسيدية أثاروا اضطهاداً على بولس وبرنابا وأخرجوهما من تخومهم لأن بولس وبرنابا توجها برسالة الخلاص إلى الأمم (أع ٤٦، ٥٠). وفي أورشليم كذلك حالما أخبر بولس اليهود أن الرب أرسله إلى الأمم " رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ قَائِلِينَ:«خُذْ مِثْلَ هذَا مِنَ الأَرْضِ، لأَنَّهُ كَانَ لاَ يَجُوزُ أَنْ يَعِيشَ!" (أع ٢٢: ٢٢) وفي الرسالة الأولى إلى تسالونيكي يقول الرسول بولس عن اليهود "١٦يَمْنَعُونَنَا عَنْ أَنْ نُكَلِّمَ الأُمَمَ لِكَيْ يَخْلُصُوا" (١تس ٢: ١٦) ويونان كان متشبعاً بهذه الروح.

والآن نعود إلى قصة يونان. لم تكن الأربعون يوماً قد انتهت لكن يونان رأى من أول يوم أن أهل نينوى قد تابوا وتذللوا فعلم أن الرب سيرحمهم، ولعل الرب أيضاً أعلن له أنه قد رحمهم "١فَغَمَّ ذلِكَ يُونَانَ غَمًّا شَدِيدًا، فَاغْتَاظَ" (ع ١) كان ينبغي أن يفرح يونان لأن أهل نينوى قبلوا رسالته وتابوا ورجعوا إلى الله وتمتعوا برحمته ولكن يونان، للأسف الشديد، اغتم واغتاظ بسبب رحمة الله على أهل نينوى دون مبرر معقول، فرحمة الله تكفي يونان وشعبه وكذلك أهل نينوى، وإعطاء الله رحمته لأهل نينوى لم يضر يونان أو شعب إسرائيل في شيء، كما أن هذه الرحمة لم تكن ملكاً ليونان بل هي ملك لله وهو الذي شاء أن يرحمهم بعد توبتهم لأن

إصرار الله على إنذار أهل نينوى كان معناه أن الله يريدهم أن يتوبوا فيرحمهم لأنه "إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّر" (ع ٢) فهو رؤوف يفيض بالمحبة على البشر، ورحيم يفيض بالحنان، وبطئ الغضب لا يعاقب في الحال بل يعطي الخاطئ فرصة للتوبة، وهو نادم على الشر أي أنه لا ينفذ العقاب إذا تاب الإنسان ورجع إلى شره. ويونان نفسه كان يعتقد بهذا. لذلك كان خطأ كبيراً من يونان أن يغتم ويغتاظ بسبب رحمة الله على أهل نينوى. كان يجب أن يسر بما فعله الله لا أن يغتم ويغتاظ لأن الله ليس هو إله اليهود فقط بل إله الأمم أيضاً "٢٩أَمِ اللهُ لِلْيَهُودِ فَقَطْ؟ أَلَيْسَ لِلأُمَمِ أَيْضًا؟ بَلَى، لِلأُمَمِ أَيْضًا" (رو ٣: ٢٩) ونحن كمؤمنين يجب علينا أن يكون فكرنا مرتبطاً بفكر الرب، ولنا عواطف قلب الله من جهة الآخرين، ونسر بما يسر به الرب ونرضى به حتى ولو كنا لا نقدر أن نعلله.

وإذ اغتاظ يونان صلى صلاة غريبة عبر فيها عن مرارة نفسه، واعترض فيها على رحمة الله لأهل نينوى، فذكر أن هذا هو السبب الذي جعله يبادر إلى الهروب إلى ترشيش مبرراً نفسه فيما فعل، رغم أنه سبق أن أدان نفسه على هذا الهروب إذ اعترف أنه راعي أباطيل كاذبة "٢وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «آهِ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ هذَا كَلاَمِي إِذْ كُنْتُ بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ لِذلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ" (ع ٢). كان يونان يتوقع أن يعفو الله عن أهل نينوى إذا تابوا لأنه علم أن الله رؤوف ورحيم. لذلك بادر إلى الهروب إلى ترشيش. لقد تجرب الكثيرون بالانسحاب من الخدمة لأنهم يئسوا من نجاحها وأما يونان فقد هرب من الخدمة خوفاً من

نجاحها، وعندما أجبر على توصيل الرسالة إلى أهل نينوى تضايق من تأثر سامعيه ومن نجاح إرساليته ومن نجاة المدينة العظيمة نينوى من الهلاك، لذلك اغتاظ وطلب الموت لنفسه. لقد سبق أن صلى في الإصحاح الثاني ليشكر الله لأنه أصعد من الوهدة حياته " ثُمَّ أَصْعَدْتَ مِنَ الْوَهْدَةِ حَيَاتِي أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي" (ص ٢: ٦) لكنه الآن إذ اشتد غيظه وصل إلى حالة من الانهيار العصبي حتى كره حياته وتمنى لنفسه الموت، واعتبر أن موته أفضل من حياته، فصلى قائلاً: "٣فَالآنَ يَا رَبُّ، خُذْ نَفْسِي مِنِّي، لأَنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي" (ع ٣) هذه الكلمات لم تكن تعبر عن الاشتياق والحنين إلى الوجود مع الرب بل تعبر عن التذمر والأنين.

سبق أن طلب موسى النبي الموت لنفسه بسبب ثقل مسئولية حمل الشعب الذين بكوا وطلبوا منه أن يطعمهم لحماً "١٥فَإِنْ كُنْتَ تَفْعَلُ بِي هكَذَا، فَاقْتُلْنِي قَتْلاً إِنْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ، فَلاَ أَرَى بَلِيَّتِي" (عد ١١: ١٥). وطلب إيليا النبي الموت لنفسه عندما هددته إيزابل الملكة الشريرة بالموت "٤ثُمَّ سَارَ فِي الْبَرِّيَّةِ مَسِيرَةَ يَوْمٍ، حَتَّى أَتَى وَجَلَسَ تَحْتَ رَتَمَةٍ وَطَلَبَ الْمَوْتَ لِنَفْسِهِ، وَقَالَ: «قَدْ كَفَى الآنَ يَا رَبُّ. خُذْ نَفْسِي لأَنِّي لَسْتُ خَيْرًا مِنْ آبَائِي»" (١مل ١٩: ٤) لكن يونان طلب الموت بدون مبرر سوى غيظه بسبب رحمة الله على أهل نينوى. كنا نتوقع من يونان وهو عبد الرب ونبي الرب أن يطلب من الله أن يأخذ حياته لكي يكون مع الله ولكي يتمتع بالله، مثل بولس الرسول الذي اشتهى أن ينطلق ليكون مع المسيح. كيف يتجاسر يونان أن يطلب الموت لنفسه وهو مغتاظ من الله أي في حالة خصومة معه؟ إن غضب الإنسان يجعله يرتكب كثيراً من الحماقات. ماذا لو

أن يونان في لحظة وجد نفسه وجهاً لوجه مع الإله العظيم الذي أغضبه لكان الله عادلاً في ذلك، لكن الله في لطفه يتحاجج مع يونان ليزيل حدة غضبه ويقنعه بخطئه، مثلما فعل الأب مع ابنه الأكبر الذي غضب ولم يرد أن يدخل البيت لأن أباه قبل أخاه الأصغر عند رجوعه من الكورة البعيدة "٢٨فَغَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ. فَخَرَجَ أَبُوهُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ" (لو ١٥: ٢٨) "٤فَقَالَ الرَّبُّ: «هَلِ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ؟»" (ع ٤)

ونتعلم من هذا أن نصلح الآخرين الساقطين بروح الوداعة "١أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنِ انْسَبَقَ إِنْسَانٌ فَأُخِذَ فِي زَلَّةٍ مَا، فَأَصْلِحُوا أَنْتُمُ الرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هذَا بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ، نَاظِرًا إِلَى نَفْسِكَ لِئَلاَّ تُجَرَّبَ أَنْتَ أَيْضًا" (غلا ٦: ١) وأن "١اَلْجَوَابُ اللَّيِّنُ يَصْرِفُ الْغَضَبَ" (ام ١٥: ١).

ثانياً – استياء يونان من يبوسة اليقطينة وتبريره لنفسه إزاء هذا الاستياء:

"٥وَخَرَجَ يُونَانُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَجَلَسَ شَرْقِيَّ الْمَدِينَةِ، وَصَنَعَ لِنَفْسِهِ هُنَاكَ مَظَلَّةً وَجَلَسَ تَحْتَهَا فِي الظِّلِّ، حَتَّى يَرَى مَاذَا يَحْدُثُ فِي الْمَدِينَةِ. ٦فَأَعَدَّ الرَّبُّ الإِلهُ يَقْطِينَةً فَارْتَفَعَتْ فَوْقَ يُونَانَ لِتَكُونَ ظِلاً عَلَى رَأْسِهِ، لِكَيْ يُخَلِّصَهُ مِنْ غَمِّهِ. فَفَرِحَ يُونَانُ مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ فَرَحًا عَظِيمًا. ثُمَّ أَعَدَّ اللهُ دُودَةً عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فِي الْغَدِ، فَضَرَبَتِ الْيَقْطِينَةَ فَيَبِسَتْ. ٨وَحَدَثَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَنَّ اللهَ أَعَدَّ رِيحًا شَرْقِيَّةً حَارَّةً، فَضَرَبَتِ الشَّمْسُ عَلَى رَأْسِ يُونَانَ فَذَبُلَ. فَطَلَبَ لِنَفْسِهِ الْمَوْتَ، وَقَالَ: «مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي» فَقَالَ اللهُ لِيُونَانَ: «هَلِ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ؟» فَقَالَ: «اغْتَظْتُ بِالصَّوَابِ حَتَّى الْمَوْتِ» " (ع ٥ – ٩).

العدد الخامس يمكن أن يكون بداية لهذا الإصحاح كما شرحنا سابقاً أو يقرأ كما لو كان بين قوسين أي أن يونان كان قد "خَرَجَ يُونَانُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَجَلَسَ شَرْقِيَّ الْمَدِينَةِ، وَصَنَعَ لِنَفْسِهِ هُنَاكَ مَظَلَّةً وَجَلَسَ تَحْتَهَا فِي الظِّلِّ، حَتَّى يَرَى مَاذَا يَحْدُثُ فِي الْمَدِينَةِ" (ع ٥) فيكون العدد السادس استمراراً للكلام في العدد الرابع. عندما اغتاظ يونان وطلب من الرب أن يأخذ نفسه أشفق الرب عليه وتدخل لكي يعالجه ويصرف غضبه بمحاججته أولاً، ثم بإعداد اليقطينة ثانياً، فسأله الرب في العدد الرابع " هَلِ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ؟" (ع ٤) لكي يقنعه أنه ليس هناك مبرر لغيظه، لكن يونان لم يقتنع بذلك بل استمر في غضبه بدليل أنه لم يجب على سؤال الرب بأية كلمة، فأعد الرب له يقطينة لتظلله لكي يخلصه من غمه لعل يونان عندما ينتعش جسمه تتحسن نفسيته. لقد نظر الرب إليه نظرة عطف كما تنظر الأم الرقيقة لابنها الغاضب

"٦فَأَعَدَّ الرَّبُّ الإِلهُ يَقْطِينَةً فَارْتَفَعَتْ فَوْقَ يُونَانَ لِتَكُونَ ظِلاً عَلَى رَأْسِهِ، لِكَيْ يُخَلِّصَهُ مِنْ غَمِّهِ" (ع ٦) وقد وردت كلمة "الرب" إله العهد مع إسرائيل لأن اليقطينة كانت لخدمة يونان الذي هو من شعب إسرائيل. وكلمة "الإله" أي ايلوهيم وهو اسم الله الذي ورد في أول عبارة في سفر التكوين، الذي خلق السموات والأرض فهو الخالق العظيم الذي أعد اليقطينة في يوم واحد. واليقطينة هي شجرة خروع مملوءة بالأوراق العريضة. إن المظلة التي صنعها يونان من بعض فروع الشجر كانت تظلله جزئياً لأن الشمس كانت تخترق فتحاتها ولم يذكر أنه فرح من أجلها، لذلك تنازل الله إليه فأعد له يقطينة لكي تظلله تظليلاً كاملاً لكي يخلصه من غمه.

ويرجح أن الرب كان قد أعد اليقطينة سابقاً في المكان الذي كان سيجلس فيه يونان مغموماً. كان الرب يعرف الأحوال التي سيمر بها يونان قبل أن تحدث، فاهتم الله بإعداد هذه اليقطينة من أجل خدمة يونان قبل أن يجلس تحتها، ولكن أوراقها هي التي لم تكن قد اكتمل نموها، وفي ليلة واحدة ارتفعت فوق يونان واكتمل نمو أوراقها بطريقة سريعة غير طبيعية، فكانت ظلاً على رأس يونان " فَفَرِحَ يُونَانُ مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ فَرَحًا عَظِيمًا" (ع ٦) لقد كانت مريحة جداً له، فأنعشت نفسه وأتت في الوقت المناسب. انظر كيف يتحنن الله على يونان في ضيقته رغم أنه هو الذي جلب على نفسه هذا الغم. إن الله يتألم لآلامنا ويحزن لأحزاننا. أنه لا يمكن أن يقف موقف المتفرج أو موقف اللامبالاة إزاء أحزان أولاده حتى لو كانوا في حالة العصيان. يبدو أن يونان كان عاطفياً، إذ نراه يغضب بسرعة ويفرح لأقل شيء كما فرح من أجل اليقطينة فرحاً عظيماً. لم يكن هناك داع أن يبالغ يونان في الفرح من أجل اليقطينة. ونحن يليق بنا أن نفرح ونشكر الله من أجل المخلوقات المريحة لنا، لكن لا داعي أن نبالغ في الفرح بها فالله وحده هو الذي ينبغي أن يكون بهجة فرحنا "٤فَآتِي إِلَى مَذْبَحِ اللهِ، إِلَى اللهِ بَهْجَةِ فَرَحِي" (مز٤٣: ٤).

وإلى ذلك الوقت كان يونان مازال غاضباً وما زال في حالة خصام مع الله، فبالرغم من أنه فرح من أجل اليقطينة فرحاً عظيماً إلا أنه لم يشكر الله من أجلها. "٧ثُمَّ أَعَدَّ اللهُ دُودَةً عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فِي الْغَدِ، فَضَرَبَتِ الْيَقْطِينَةَ فَيَبِسَتْ" (ع ٧) إن كل شيء في حياة المؤمن. هو بترتيب من الله ولحكمة سامية عنده، فقد أعد الله يقطينة ليخلص يونان من غمه

لكن كان لابد أن يعلمه درساً مهماً، فأعد دودة لتضرب اليقطينة في الجذر أسفل الساق فتحرمها من الغذاء فتيبس ولا يكون لها أية فائدة ليونان.

لم يذكر الكتاب المقدس أن الدودة أكلت اليقطينة إذ لم تكن الدودة في حاجة إلى ذلك، لكنها قامت بعمل خاص حدده الله لها وهو أن تضرب اليقطينة أي تقطعها أو تقرضها، وقد قامت الدودة بهذا العمل إطاعة لأمر الرب وليس لأنها كانت جوعانة، تماماً مثلما فعل الأسد مع رجل الله الذي خالف قول الرب إذ قتله الأسد ولم يأكله "٢٨فَذَهَبَ وَوَجَدَ جُثَّتَهُ مَطْرُوحَةً فِي الطَّرِيقِ، وَالْحِمَارَ وَالأَسَدَ وَاقِفَيْنِ بِجَانِبِ الْجُثَّةِ، وَلَمْ يَأْكُلِ الأَسَدُ الْجُثَّةَ وَلاَ افْتَرَسَ الْحِمَارَ" (١مل ١٣: ٢٨). "٨وَحَدَثَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَنَّ اللهَ أَعَدَّ رِيحًا شَرْقِيَّةً حَارَّةً، فَضَرَبَتِ الشَّمْسُ عَلَى رَأْسِ يُونَانَ فَذَبُلَ. فَطَلَبَ لِنَفْسِهِ الْمَوْتَ، وَقَالَ: «مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي» (ع ٨) سبق أن استخدم الرب الريح الشرقية في خدمة شعبه وهو خارج من أرض مصر عندما قسمت البحر الأحمر نصفين لكي يعبر الشعب "٢١وَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ، فَأَجْرَى الرَّبُّ الْبَحْرَ بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ كُلَّ اللَّيْلِ، وَجَعَلَ الْبَحْرَ يَابِسَةً وَانْشَقَّ الْمَاءُ" (خر ١٤: ٢١) كما أستخدمها أيضاً لكي تسوق طيور السلوى لهم وهم في البرية "٣١فَخَرَجَتْ رِيحٌ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ وَسَاقَتْ سَلْوَى مِنَ الْبَحْرِ وَأَلْقَتْهَا عَلَى الْمَحَلَّةِ" (ع ١١: ٣١)، "٢٦أَهَاجَ شَرْقِيَّةً فِي السَّمَاءِ، وَسَاقَ بِقُوَّتِهِ جَنُوبِيَّةً. ٢٧وَأَمْطَرَ عَلَيْهِمْ لَحْمًا مِثْلَ التُّرَابِ، وَكَرَمْلِ الْبَحْرِ طُيُورًا ذَوَاتِ أَجْنِحَةٍ" (مز ٧٨: ٢٦، ٢٧) ولكن الله هنا يستخدم الريح الشرقية لكي تضايق يونان.

ضربت الشمس على رأس يونان بعد أن يبست اليقطينة. والريح لم تلطف حرارة الشمس بل زادتها حدة، فذبل يونان وتضايق جداً فطلب لنفسه الموت. لقد أشفق على نفسه من حرارة الشمس فأشفق على اليقطينة التي كانت تظلله وقد عبر عن استيائه من قسوة الله على اليقطينة وعليه بطلبه الموت. لقد تضايق يونان جداً من أجل اليقطينة التي يبست لأنه سبق أن فرح من أجلها جداً. إن ما نحبه أكثر من اللازم عندما نحصل عليه نميل أن نحزن من أجله أكثر من اللازم عندما نفقده. ومرة أخرى يتنازل الله ليحاجج يونان لعله يغير رأيه ويرجع عن تذمره "٩فَقَالَ اللهُ لِيُونَانَ: «هَلِ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ؟»" (ع ٩) أي هل أنت محق في غيظك من أجل اليقطينة التي حرمه الله منها لأنها ليست ملكه، بل أن الله هو الذي أعدها وهو صاحبها، وكان ينبغي أن يصبر يونان على خسارته لليقطينة ويشكر الله على حكمته، وكان يمكنه أن يطلب من الله يقطينة غيرها وهو يعلم أن الله قادر على ذلك. لكن يونان اغتاظ دون وجه حق، فلجأ الله إلى ضمير يونان لكي يراجع نفسه ويرجع عن غيظه، ولكن حدة غضب يونان جعلت ضميره يعطي حكماً مغلوطاً فأصر على أن له حقاً في غيظه، وأنه يتمنى أن الغيظ يقتله فيموت " فَقَالَ: «اغْتَظْتُ بِالصَّوَابِ حَتَّى الْمَوْتِ»" (ع ٩) وحقاً أن " الْغَيْظَ يَقْتُلُ الْغَبِيَّ، وَالْغَيْرَةَ تُمِيتُ الأَحْمَقَ" (أي ٥: ٢) والذين يقتلون أنفسهم بحدة غضبهم هم في الواقع حمقى وأغبياء. يونان طلب لنفسه الموت مرتين. المرة الأولى كانت بسبب غيظه من رحمة الله على أهل نينوى (ع ٣) والمرة الثانية كانت بسبب غيظه من أجل اليقطينة (ع ٨) وفي كل مرة كان الرب يشفق عليه ويتحاجج

معه بلطف ويسأله عما إذا كان محقاً في غيظه لكي يقنعه بخطئه ويخلصه من غمه. سأله الرب في العدد الرابع " هَلِ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ؟" وسأله في العدد التاسع نفس السؤال " هَلِ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ؟" ونلاحظ أن يونان لم يجاوب على سؤال الله في المرة الأولى أما في المرة الثانية فقد جاوب الله قائلاً " اغْتَظْتُ بِالصَّوَابِ حَتَّى الْمَوْتِ" ترى ما السبب في ذلك؟ في المرة الأولى كان يونان في حالة غضب وخصام مع الله ولم يرد أن يتحدث مع الله كما يفعل الإنسان عندما يخاصم شخصاً آخر ويمتنع عن التكلم معه، أو كما يفعل الطفل عندما يغضب من أبيه ويرفض الكلام معه، كما أن سبب غيظ يونان في هذه المرة كان أعطاء الله رحمته لمن لا يستحقون الرحمة في نظره وهم أهل نينوى. أما في المرة الثانية فكان غيظه من قسوة الله على اليقطينة وعليه لأن الله أعد دودة ضربت اليقطينة فضربت الشمس على رأسه وذبل، فخرج عن صمته وتكلم وجاوب الله قائلاً أنه محق في غيظه ظناً منه أن الله لا يستطيع أن يجد مبرراً لقسوته، إذ كيف يكون الله رحيماً ويقسو؟ وأي مبرر يمكن أن يقدم عندما تصدر القسوة من الله الرحيم.

ثالثاً – انتهاز الله الفرصة لاقناع يونان بأنه لا يجب أن يستاء من إنقاذ نينوى:

"[١٠]فَقَالَ الرَّبُّ: «أَنْتَ شَفِقْتَ عَلَى الْيَقْطِينَةِ الَّتِي لَمْ تَتْعَبْ فِيهَا وَلاَ رَبَّيْتَهَا، الَّتِي بِنْتَ لَيْلَةٍ كَانَتْ وَبِنْتَ لَيْلَةٍ هَلَكَتْ. [١١]أَفَلاَ أَشْفَقُ أَنَا عَلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنِ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ رِبْوَةً مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ يَمِينَهُمْ مِنْ شِمَالِهِمْ، وَبَهَائِمُ كَثِيرَةٌ؟" (ع ١٠، ١١).

الحقيقة أن الله بصفته الخالق له سلطان على خليقته أن يفعل بها كما يشاء. فالله له سلطان أن يأخذ، وليس ليونان أي حق في أن يتذمر على الله من أجل اليقطينة لأن الله أخذ ما أعطى، كما أن له سلطاناً أن يستخدم خليقته لتنفيذ مقاصده. ولقد قصد الله أن يأخذ اليقطينة لتضرب الشمس على رأس يونان، فأعد الله ريحاً شرقية حارة لكي تضايق يونان أكثر، حتى عندما يشكو ويظهر شفقته على اليقطينة تكون هناك فرصة لكي يقنعه الرب بأن أهل نينوى أولى بشفقة الله عليهم من شفقته هو على اليقطينة، لأنه إن كان يونان قد فزع واغتاظ على يقطينة فكيف يكون الأمر بالنسبة لقلب الله الخالق وهو يرى مدينة عظيمة تهوى إلى قاع الجحيم؟! ولقد استخدم الله كلام يونان ضده لكي يقنعه بأنه قد أخطأ في غيظه بسبب رحمة الله على أهل نينوى، وكأن الله يقول له: أنت أشفقت على اليقطينة وتأسفت لأنها ذبلت وكنت تتمنى أنها تبقى حية، أما كان ينبغي أن أظهر أنا نحو نينوى نفس العطف الذي أظهرته أنت نحو اليقطينة وأن أمنع الزلزلة التي كانت سوف تقلب نينوى، كما تمنيت أنت أن تمنع الدودة التي ضربت اليقطينة! يونان أشفق على اليقطينة ولم يشفق على المدينة العظيمة نينوى التي كانت معرضة للهلاك.

يونان أشفق على يقطينة واحدة – شجرة واحدة – لكن نينوى مدينة عظيمة بها أكثر من ستمائة ألف من البشر وهم أهم بكثير من اليقطينة. كما أن نينوى بها عدد كبير من الأبرياء الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم، وهؤلاء هم الأطفال الصغار (ربما أقل من سنتين) الذين هم في سن البراءة إذ لم يصلوا بعد إلى سن الإدراك والتمييز بين الخير

والشر. وكان عددهم أكثر من اثنتى عشرة ربوة (والربوة عشرة آلاف) فيكون عددهم أكثر من مائة وعشرين ألفاً. إنهم لم يرتكبوا خطية فعلية، ولو حدثت زلزلة وهلكت نينوى لهلكوا معها. إن الله يعطف جداً على الأطفال، فلقد أظهر المسيح شفقة خاصة نحو الأولاد الذين قدموا إليه عندما ٦َاحْتَضَنَهُمْ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَبَارَكَهُمْ" (مر ١٠: ١٦). كان يجب أن يكون الرسول مثل مرسله، والنبي مثل إلهه، فيشفق على الناس خصوصاً على الأطفال، ولكن يونان لم يكن هكذا.

بل أن الله أيضاً أشفق على البهائم الكثيرة التي في نينوى وكان يحق له أن يشفق عليها أكثر من شفقة يونان على اليقطينة لأن حياة الحيوان أسمى بكثير من حياة النبات. ومن شفقة الرب على البهائم أنه أعطاها يوم السبت راحة في العهد القديم، وإذا سقط واحد منها في يوم السبت كان صاحبه أن ينقذه. واليقطينة التي أشفق عليها يونان لم تكن ملكاً له. لم يتعب فيها ولم يقم بتربيتها أما أهل نينوى الذين أشفق الله عليهم فقد كانوا كلهم صنعة يديه، وهو الذي رعاهم وأنماهم وهم ملكه، لذلك كان يحق له أن يشفق عليهم. واليقطينة عاشت وقتاً قصيراً، فقد ترعرعت في ليلة وهلكت في الليلة التالية أما أهل نينوى فقد قضوا زماناً طويلاً في النمو وفي التمتع بعناية الله. واليقطينة سرعان ما هلكت وانتهى أمرها، أما أهل نينوى فهم نفوس غالية خالدة، وإذا هلكوا تحت غضب الله فسيهلكون إلى الأبد، لذلك أشفق الله عليهم. إن نفساً واحدة منهم أغلى من العالم كله، وربح العالم لا يعوض عن خسارة نفس واحدة. لقد أثبت يونان أنه لا يصلح أن يكون خادماً للرب على

الإطلاق، ولولا نعمة الله ما احتمل تذمره وما أرسله في خدمة، لأن الخادم الذي لا يقدر رحمة الله، والذي ليس له عواطف قلب الله، والذي هو سريع الغضب والانفعال، هو شخص منفر ومقبض. أنه لا يمجد الله ولا يعمل لخير النفوس ولا يصلح لخدمة الله. أخيراً سأل الرب هذا السؤال:" [١٠]فَقَالَ الرَّبُّ: «أَنْتَ شَفِقْتَ عَلَى الْيَقْطِينَةِ الَّتِي لَمْ تَتْعَبْ فِيهَا وَلاَ رَبَّيْتَهَا، الَّتِي بِنْتَ لَيْلَةٍ كَانَتْ وَبِنْتَ لَيْلَةٍ هَلَكَتْ. [١١]أَفَلاَ أُشْفَقُ أَنَا عَلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنِ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ رِبْوَةً مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ يَمِينَهُمْ مِنْ شِمَالِهِمْ، وَبَهَائِمُ كَثِيرَةٌ؟" (ع ١٠، ١١). يا لها من كلمات مؤثرة ويا له من إله طيب !

ختم سفر يونان بهذا السؤال الذي سأله الرب ليونان. كان في هذا السؤال من الحجج ما يكفي لإقناع يونان بخطأ موقفه، وبأن الله قد أحسن إذ رحم أهل نينوى وعدل عن اهلاكهم. وسؤال الرب هذا سؤال تقريري، أي يقرر حقيقة ولا يحتاج إلى جواب، ولكن حيث أن يونان كان يعترض على رحمة الله التي أعطيت لأهل نينوى فكان يجب عليه أن يجاوب على سؤال الرب معبراً عن اقتناعه بأن الله أحسن إذ رحم أهل نينوى. في سفر أيوب سأل الله أيوب عدة أسئلة فأجاب أيوب " قَدْ نَطَقْتُ بِمَا لَمْ أَفْهَمْ..... ٦لِذلِكَ أَرْفُضُ (نفسي وبري) وَأَنْدَمُ فِي التُّرَابِ وَالرَّمَادِ" (أي ٤٢: ٣، ٤) أما يونان فلم يعط أية أجابة. لعل لسانه قد انعقد عن الكلام أمام حجج الله القوية التي كانت كافية أن تعيده إلى صوابه، أو لعله غير رأيه السابق وغير مشاعره تجاه أهل نينوى وسر بنجاتهم ورحمة الله عليهم. أو لعل شدة غضب يونان جعلته بطئ الفهم فاحتاج إلى وقت طويل وتدريبات أخرى كثيرة

ليستوعب هذا الدرس العظيم وهذا الحق الثمين وتكون له هذه العواطف الرقيقة. وكتابته لهذا السفر لابد أنها بعد رجوعه عن رأيه واقتناعه.

وسواء رجع يونان عن موقفه السابق تجاه أهل نينوى أو لم يرجع فهذا لا يهمنا كثيراً. إن ما يهمنا هو أن الله بار عندما يرحم الخطاة التائبين، وهو بار أيضاً عندما يهلك الأشرار الذين يصرون على عنادهم. ويهمنا أيضاً أن الله كان رحيماً على أهل نينوى. ويجب على المتذمرين وذوي النفوس والمبادئ الضيقة الذين يريدون أن يحتكروا النعمة الإلهية لأنفسهم ولمن يماثلونهم في آرائهم أن يدركوا أنه يوجد " لأَنَّ رَبًّا وَاحِدًا لِلْجَمِيعِ، غَنِيًّا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهِ" (رو ١٠: ١٢) وأنه "في كُلِّ أُمَّةٍ، الَّذِي يَتَّقِيهِ وَيَصْنَعُ الْبِرَّ مَقْبُولٌ عِنْدَهُ" (أع ١٠: ٣٥) وأن من يتوب ويرجع عن خطاياه يجد رحمة عنده. ويحق لأهل نينوى أن يشكروا الله لأن مشاعره تختلف عن مشاعر يونان، ولأنه لم يجعل مصيرهم في يد يونان، كما يحق لنا أن نشكر الله لأنه جعل مصائرنا في يده هو لا في يد أي إنسان، ويحق لأهل نينوى ويحق لنا نحن أيضاً أن نشكر الله كثيراً من أجل مراحمه الكثيرة. قديماً أخطأ داود الملك عندما أمر باحصاء الشعب فأرسل إليه الرب عن يد جاد الرائي ليختار واحدة من ثلاث طرق للعقاب وهي: إما ثلاث سنين جوعاً أو ثلاثة أشهر هلاكاً أمام الأعداء أو ثلاثة أيام وباء ، فاختار داود أن يسقط في يد الرب وقال لجاد الرائي "قَدْ ضَاقَ بِيَ الأَمْرُ جِدًّا. دَعْنِي أَسْقُطْ فِي يَدِ الرَّبِّ لأَنَّ مَرَاحِمَهُ كَثِيرَةٌ، وَلاَ أَسْقُطُ فِي يَدِ إِنْسَان" (١أخ ٢١: ١٣).

ولعل يونان قد أحسن في هذه المرة إذ صمت عن الكلام حتى تكون لسفر يونان هذه الخاتمة العجيبة وهي إعلان الله

بنفسه عن شفقته على البشر، لأنه لا يسر بموت الشرير بل برجوعه عن طرقه فيحيا "[٢٣]هَلْ مَسَرَّةً أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ؟ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. أَلاَ بِرُجُوعِهِ عَنْ طُرُقِهِ فَيَحْيَا؟" (حز ١٨: ٢٣). وأمام شفقة الله ليت كل نفس خاطئة قاسية تنكسر وتتوب قبل أن يغلق باب الرحمة ولا يكون أمامها سوى الدينونة والهلاك. إن الهلاك مؤكد والعذاب أبدي وفرصة النعمة قاربت أن تنتهي والعمر غير مضمون. أي شيء أعز من نفسك وهي أهم شيء. لا تؤجل توبتك لأن الغد ليس في يدك. كم من أناس تهاونوا في حياتهم على الأرض وانتهت حياتهم وذهبوا إلى الأبدية الرهيبة وهم الآن يتمنون فرصة للتوبة والرحمة كالتي في يدك ولكن هيهات. وها الفرصة أمامك الآن فانهزها. وأمام شفقة الله ليت كل مؤمن يفيض قلبه بالحمد والشكر للرب ويبادله حباً بحب، ويبشر بشفقته للخطاة المساكين، ويتحذر من أن يخطئ إلى هذا الإله الشفقوق "[٤]لأَنَّ عِنْدَكَ الْمَغْفِرَةَ. لِكَيْ يُخَافَ مِنْكَ" (مز ١٣٠: ٤). أي أن غفران الله يدعونا أن نخافه ونخشاه لا أن نستمر في كسر وصاياه. فلئن كانت رحمة الله تغفر للخطاة فإنها تغفر للخطاة التائبين إذ أنه لا غفران بغير توبة. وأما من يرفضون التوبة فلابد أن يدانوا بحسب العدالة الإلهية. وكما أن عدالة الله تقتضي أن لا يهلك أحد بغير ذنب فهي تقتضي أيضاً معاقبة المذنب لأن "الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ .... غَافِرُ الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ. وَلكِنَّهُ لَنْ يُبْرِئَ إِبْرَاءً (أي لا يعفي المذنب من العقاب)" (خر ٣٤: ٦، ٧).

وهذا ما حدث مع جيل آخر من أهل نينوى فقد مضى الجيل والملك (وكذلك الأطفال) الذين تابوا وآمنوا ورجعوا إلى الرب فرحمهم الرب ونجاهم من الهلاك ولم يقلب مدينتهم.

وبعد أكثر من مائتي سنة من توبتهم قام جيل آخر شرير قضى عليهم الرب من أجل شرهم اتماماً لنبوة ناحوم النبي الذي تنبأ حوالي عام ٧١٣ ق. م. عن خراب نينوى وذكر أن الرب سيخفي معالم نينوى، وأن أشور لن تبقى له ذرية تحمل اسمه وذلك من أجل وحشيتهم وسفكهم للدماء، ومن أجل ظلمهم ونهبهم للغنائم، ومن أجل قسوتهم على الضحايا، ومن أجل كذبهم وسحرهم وزناهم، وأيضاً من أجل قضائهم على مملكة إسرائيل عام ٧٢٢ ق. م. "[١]وَحْيٌ عَلَى نِينَوَى. سِفْرُ رُؤْيَا نَاحُومَ الأَلْقُوشِيِّ ... [٨]وَلكِنْ بِطُوفَانٍ عَابِرٍ يَصْنَعُ هَلاَكًا تَامًّا لِمَوْضِعِهَا، وَأَعْدَاؤُهُ يَتْبَعُهُمْ ظَلاَمٌ ... [١٤]وَلكِنْ قَدْ أَوْصَى عَنْكَ الرَّبُّ: «لاَ يُزْرَعُ مِنِ اسْمِكَ فِي مَا بَعْدُ. إِنِّي أَقْطَعُ مِنْ بَيْتِ إِلهِكَ التَّمَاثِيلَ الْمَنْحُوتَةَ وَالْمَسْبُوكَةَ. أَجْعَلُهُ قَبْرَكَ، لأَنَّكَ صِرْتَ حَقِيرًا" (ناحوم ١: ١، ٨، ١٤). "[١]وَيْلٌ لِمَدِينَةِ الدِّمَاءِ. كُلُّهَا مَلآنَةٌ كَذِبًا وَخَطْفًا. لاَ يَزُولُ الافْتِرَاسُ ... [٤]مِنْ أَجْلِ زِنَى الزَّانِيَةِ الْحَسَنَةِ الْجَمَالِ صَاحِبَةِ السِّحْرِ الْبَائِعَةِ أُمَمًا بِزِنَاهَا، وَقَبَائِلَ بِسِحْرِهَا... [٧]وَيَكُونُ كُلُّ مَنْ يَرَاكِ يَهْرُبُ مِنْكِ وَيَقُولُ: خَرِبَتْ نِينَوَى، مَنْ يَرْثِي لَهَا؟ مِنْ أَيْنَ أَطْلُبُ لَكِ مُعَزِّينَ؟" (ناحوم ٣: ١، ٤، ٧).

وقد حدث هذا الخراب عام ٦١٢ ق. م. على يد نابو بولاسر (والد نبوخذ نصر) حاكم بابل الذي تحالف مع جيرانه الماديين ودمر مدينة نينوى تماماً، وساعده على ذلك فيضان نهر دجلة وطغيان مياهه على الشوارع والساحات، فتحولت المدينة العظيمة إلى أسطورة، وتحول عمرانها إلى آثار. كما تنبأ أيضاً صفنيا النبي حوالي عام ٦٣٠ ق. م. عن خراب نينوى قائلاً أن الرب سوف يبيد آشور ويجعل نينوى قفراً موحشاً وأرضاً قاحلة كالصحراء، كما ذكر أيضاً أن نينوى

المدينة المبتهجة التي سكنت آمنة قائلة لنفسها أنا وليس لي نظير سوف تصبير أطلالاً ومأوى لوحوش البرية "[١٣]وَيَمُدُّ يَدَهُ عَلَى الشِّمَالِ وَيُبِيدُ أَشُّورَ، وَيَجْعَلُ نِينَوَى خَرَابًا يَابِسَةً كَالْقَفْرِ. ...[١٥]هذِهِ هِيَ الْمَدِينَةُ الْمُبْتَهِجَةُ السَّاكِنَةُ مُطْمَئِنَّةً، الْقَائِلَةُ فِي قَلْبِهَا: «أَنَا وَلَيْسَ غَيْرِي». كَيْفَ صَارَتْ خَرَابًا، مَرْبِضًا لِلْحَيَوَانِ! كُلُّ عَابِرٍ بِهَا يَصْفِرُ وَيَهُزُّ يَدَهُ" (صفنيا ٢: ١٣، ١٥). إذاً "[٧]لِيَتْرُكِ الشِّرِّيرُ طَرِيقَهُ، وَرَجُلُ الإِثْمِ أَفْكَارَهُ، وَلْيَتُبْ إِلَى الرَّبِّ فَيَرْحَمَهُ، وَإِلَى إِلهِنَا لأَنَّهُ يُكْثِرُ الْغُفْرَانَ" (إش ٥٥: ٧).

"[٤]أَمْ تَسْتَهِينُ بِغِنَى لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنَاتِهِ، غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟ [٥]وَلكِنَّكَ مِنْ أَجْلِ قَسَاوَتِكَ وَقَلْبِكَ غَيْرِ التَّائِبِ، تَذْخَرُ لِنَفْسِكَ غَضَبًا فِي يَوْمِ الْغَضَبِ وَاسْتِعْلاَنِ دَيْنُونَةِ اللهِ الْعَادِلَةِ" (رو ٢: ٤، ٥).

****

عزيزي – أناشدك بشدة أن تغتنم فرصتك الآن لتغتسل بالدم الكريم، وترتمي في أحضان الفادي الحبيب فتنال غفراناً كاملاً، وتنضم إلى زمرة أبناء الله المفديين، فتضمن الحياة الأبدية السعيدة آمين.

رقم الإيداع ٥٤٧٤ / ١٩٩٤

I.S. B. N. 977 – 210 – 064 – 9